التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي ـ مملكة البحرين SDPA 499 العدد 223 السنة 24 ـ سبتمبر 2026

المناضل والمُربّي محمد نصر الله .. وداعاً

زيادة الـ ٣٪ للمتقاعدين حقّ دستوري

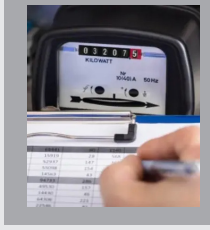

فواتير الكهرباء الصيفية بمئات الدنانير

موقفنا

سيادة الوطن ووحدة المجتمع

لن تطوى صفحة الحرب التي شهدتها منطقتنا في الأشهر الماضية بين الولايات المتحدة وإسرائيل من جهة، وإيران من جهة أخرى بمجرد توقف العمليات العسكرية أو انطلاق جولات التفاوض التي تتسم بالمماطلة، فالحروب الكبرى، حتى حين تضع أوزارها، تترك وراءها أسئلة عميقة تتعلق بالأمن والاستقرار والسيادة الوطنية ومستقبل العلاقات بين دول المنطقة وشعوبها.

جاءت هذه الحرب لتؤكد حقيقة طالما أثبتتها تجارب العقود الماضية: أن دول الخليج العربي، ومن ضمنها وطننا البحرين، تجد نفسها في قلب التفاعلات الإقليمية والدولية، وأن أي اشتعال للصراعات في جوارها المباشر ينعكس عليها سياسياً واقتصادياً وأمنياً واجتماعياً.

لقد عاشت البحرين، كما عاشت سائر دول الخليج، فترة من القلق والترقب مع اتساع رقعة المواجهة العسكرية، وتهديدات لأمن الملاحة في الخليج ومضيق هرمز، وتعرض عدد من دول المنطقة لأستهدافات عسكرية إيرانية، طالت فيما طالت منشآت مدنية واقتصادية، وكشفت التطورات الأخيرة أن أي خلل في معادلات الأمن الإقليمي لا يقف عند حدود الدول المتصارعة، بل يمتد ليطال المجتمعات والاقتصادات وحركة التجارة والطاقة والتنمية في المنطقة كلها.

ومن هنا تكتسب مسألة السيادة الوطنية أهمية استثنائية، كون جوهرها يتصل بقدرة الدولة على حماية أرضها وشعبها ومصالحها الوطنية، وهي مسؤولية جماعية تتطلب تضافر جهود الدولة والمجتمع معاً، لأن الأوطان تُحمى كذلك بصلابة الجبهة الداخلية ووحدة المواطنين وتغليب مصلحة الوطن فوق كل اعتبار آخر.

تنتج الحروب المزيد من الخسائر البشرية والاقتصادية والدمار وعدم الاستقرار، وتظلّ طاولات الحوار الطريق الأقل كلفة والأكثر استدامة لمعالجة الخلافات بين الدول. وتشير التطورات الأخيرة بعد أشهر من المواجهة العسكرية، إلى اعتراف ضمني بأن الحلول العسكرية وحدها لا تستطيع إنتاج استقرار دائم في المنطقة، لكن تظل مخاطر عودة الحرب كبيرة ما لم يبد طرفاها الاستعداد الجدي لبلوغ تسوية حقيقية.

على المستوى الخليجي، فإن المرحلة الراهنة تفرض تعزيز التعاون والتنسيق بين دول مجلس التعاون الخليجي، انطلاقاً من المصالح المشتركة التي تجمعها والتحديات المتشابهة التي تواجهها. فالأمن الخليجي لا يتجزأ، وأي تهديد يطال دولة من دول المجلس ينعكس بصورة أو بأخرى على بقية الدول. وقد أظهرت الحرب الأخيرة حجم الهواجس الخليجية المشتركة تجاه مستقبل التوازنات الإقليمية ومقتضيات الحفاظ على الاستقرار والأمن الجماعي.

التقدمي

التقدمي يشدد على نبذ الفرقة وتغليب المصلحة الوطنية

أشاد المنبر التقدمي بمضامين خطاب صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة المعظم، وبما تحمله من رؤية وطنية شاملة أكدت على وحدة الصف الوطني، وتعزيز التماسك المجتمعي، وترسيخ مفاهيم الانتماء والولاء للوطن.

وأكد المنبر التقدمي أن الظروف الراهنة تتطلب حرص جميع المواطنين، وكل فئات وقوى المجتمع البحريني، على ما يعزز استقرار مملكتنا الحبيبة وصون مكتسباتها، والعمل بروح المسؤولية الوطنية لمواجهة كل التحديات والحفاظ على أمن واستقرار الوطن ومصالحه العليا، خاصة في ظل ما تشهده مملكة البحرين ودول الخليج العربي من تحديات تمس أمنها واستقرارها، وفي المقدمة منها الاعتداءات الإيرانية الآثمة التي أدت إلى خسائر بشرية ومادية أضرت بقدرات اقتصادية حيوية لبلادنا. كما أشاد المنبر بدور قواتنا المسلحة في التصدي لهذه الاعتداءات، والإجراءات الأمنية الفعالة لحماية المواطنين وممتلكاتهم.

وشدد المنبر التقدمي على دعوة كافة مكونات المجتمع البحريني إلى بذل كل الجهود الممكنة لترجمة رؤى وتوجيهات جلالة الملك إلى ما يعزز وحدتنا الوطنية، مؤكداً أن قوة البحرين كانت وستظل في تماسك ووعي شعبها، ووحدة صفها، ورفضه لكل ما يثير الفرقة والانقسام، والتفافها حول قيادتها وثوابتها الوطنية الراسخة.

ويؤكد المنبر التقدمي أن المرحلة الراهنة تفرض علينا جميعًا التمسك بوحدة الصف الوطني ونبذ كل ما من شأنه إثارة الفرقة أو تغذية الانقسام، والتحلي بأعلى درجات الوعي في التعامل مع المعلومات، والتصدي للشائعات والأخبار المضللة التي تستهدف زعزعة الاستقرار. كما تفرض المرحلة تعزيز روح المسؤولية المشتركة في حماية المكتسبات الوطنية، والحفاظ على السلم الأهلي، ودعم الجهود الرسمية والمؤسسية الرامية إلى مواجهة التحديات بكفاءة واقتدار.

كما شدد التقدمي على أن تعزيز مناعة الوطن يبدأ من وعي أبنائه، وإدراكهم لطبيعة المرحلة، واستعدادهم لتحمل مسؤولياتهم بكل إخلاص. وختامًا، يجدد المنبر التقدمي دعوته إلى أن نكون جميعًا على قدر المسؤولية، صفًا واحدًا، وكلمةً واحدة، في مواجهة كل ما من شأنه النيل من أمن الوطن ووحدته.

في اليوم العالمي للشباب

«التقدمي» : تمكين الشباب يتطلب فرص عمل ومشاركة حقيقية

أكد المنبر التقدمي أن الشباب يمثلون قوة اجتماعية ووطنية أساسية، وأن تمكينهم يبدأ بتبني سياسات تكفل لهم أولوية عادلة في سوق العمل، إلى جانب مواءمة مخرجات التعليم والتدريب مع احتياجات الاقتصاد والتحولات المتسارعة في مجالات التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي.

جاء ذلك في بيان أصدره قطاع الشباب والطلبة بالتقدمي بمناسبة اليوم العالمي للشباب، وجّه فيه التحية إلى شباب البحرين وشباب العالم، مؤكداً تطلعاتهم، على اختلاف ظروفهم، إلى مستقبل أكثر عدالة وأمناً، وضمان حقوقهم في التعليم الجيد والعمل اللائق والاستقرار المعيشي وتكافؤ الفرص والمشاركة الفاعلة في الحياة العامة.

وقال التقدمي إنّ تمكين الشباب لا يكتمل من دون توسيع مشاركتهم في الحياة السياسية والعامة، وإتاحة المجال أمام مبادراتهم وأفكارهم ونقدهم، وإشراكهم بصورة فعلية في مؤسسات المجتمع المدني والعمل الوطني وصنع القرار. وشدد على أن الشباب ليسوا مجرد «قيادات للمستقبل»، وإنما شركاء في الحاضر، معتبراً أن تجديد الحياة السياسية والمجتمعية يستلزم حضور الأجيال الجديدة بما تحمله من رؤى وأفكار وأدوات مختلفة.

وأكد التقدمي على ضرورة توفير بيئة قانونية ومؤسسية تمنح الشباب الثقة والمساحة والأدوات اللازمة لتحويل أفكارهم وطاقاتهم إلى قوة فاعلة في مختلف ميادين العمل الوطني والتنمية الاجتماعية.

التقدمي يدين الاعتداءات الإيرانية على البحرين ويدعو لتعزيز التلاحم الوطني

أعرب المنبر التقدمي عن إدانته الشديدة وقلقه البالغ إزاء الاعتداءات الإيرانية التي استهدفت مملكة البحرين وعدداً من دول المنطقة خلال الفترة الماضية، وما أسفرت عنه من إصابات بين المواطنين والمقيمين وإلحاق أضرار بالممتلكات العامة والخاصة، واعتبر أن هذه الهجمات تشكل انتهاكاً مرفوضاً لسيادة المملكة وتهديداً مباشراً لأمنها واستقرارها وسلامة سكانها، مشدداً على أن حماية أرواح المدنيين ومصالحهم وصون أمن الوطن تمثل أولوية وطنية عليا لا تحتمل التهاون أو المساومة تحت أي ظرف.

وفي بيان أصدره التقدمي بهذا الخصوص أعرب عن تقديره للروح الوطنية العالية والكفاءة المهنية التي أظهرها رجال قوة دفاع البحرين وكافة الجهات المعنية في التصدي لتلك الاعتداءات والتعامل مع تداعياتها، كما عبر التقدمي عن تضامنه الكامل مع المصابين وأسرهم، متمنياً لهم الشفاء العاجل، ومثمناً الجهود الكبيرة التي بذلتها فرق الطوارئ والدفاع المدني والكوادر الصحية وسائر الأجهزة المختصة في أداء واجبها الوطني والإنساني في هذه الظروف الاستثنائية.

وجدد المنبر التقدمي موقفه المبدئي والثابت الرافض للحروب وسياسات التصعيد العسكري واستخدام القوة في تسوية النزاعات، لما تسببه من مآسٍ إنسانية وتهديد لأمن واستقرار شعوب المنطقة ومقدراتها. وأكد البيان أن معالجة الأزمات الإقليمية لا يمكن أن تتم عبر توسيع دوائر الصراع والمواجهة، وإنما من خلال الحوار الجاد والحلول السياسية واحترام سيادة الدول والالتزام بمبادئ القانون الدولي.

وأكد التقدمي في ختام بيانه أن المرحلة الراهنة تستوجب تكاتف جميع الجهود الوطنية خلف هدف حماية الوطن والدفاع عن مصالحه العليا، والعمل من أجل تجنيب المنطقة المزيد من التوترات والصراعات، والدفع نحو تسويات سياسية عادلة ومستدامة تضمن الأمن والاستقرار والتنمية لشعوبها كافة.

جمعيات سياسية تدين الاعتداءات الإيرانية المتكررة على البحرين

عبرت ثلاث جمعيات سياسية عن رفضها واستنكارها الشديدين لاستمرار الاعتداءات الإيرانية المتكررة على البحرين وبقية دول مجلس التعاون الخليجي، وكذلك التصريحات الإيرانية وما تتضمنه من تدخلات سافرة في الشؤون الداخلية لمملكة البحرين ودول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، بما يمثل انتهاكاً صريحاً لمبادئ حسن الجوار، وأحكام القانون الدولي، وميثاق الأمم المتحدة القائم على احترام سيادة الدول واستقلالها وعدم التدخل في شؤونها الداخلية.

جاء ذلك في بيان أصدرته جمعيات المنبر التقدمي والتجمع القومي والتجمع الوحدوي أكدت فيه أن أمن البحرين وسيادتها واستقرارها خط أحمر لا يقبل المساومة أو التشكيك، وأن أي محاولة للمساس بسيادة المملكة أو النيل من وحدتها الوطنية أو التدخل في خياراتها السياسية مرفوضة رفضاً قاطعاً.

وأشادت الجمعيات الثلاث بالمواقف الوطنية الثابتة التي تتبناها القيادة الحكيمة لمملكة البحرين في حماية أمن الوطن وصون سيادته، وباليقظة العالية التي تبديها الأجهزة الأمنية والعسكرية في الدفاع عن المملكة والحفاظ على أمن المواطنين والمقيمين.

قـرار حظـر العمـل وقـت الظهيـرة: تحـديات فـي التنفيـذ

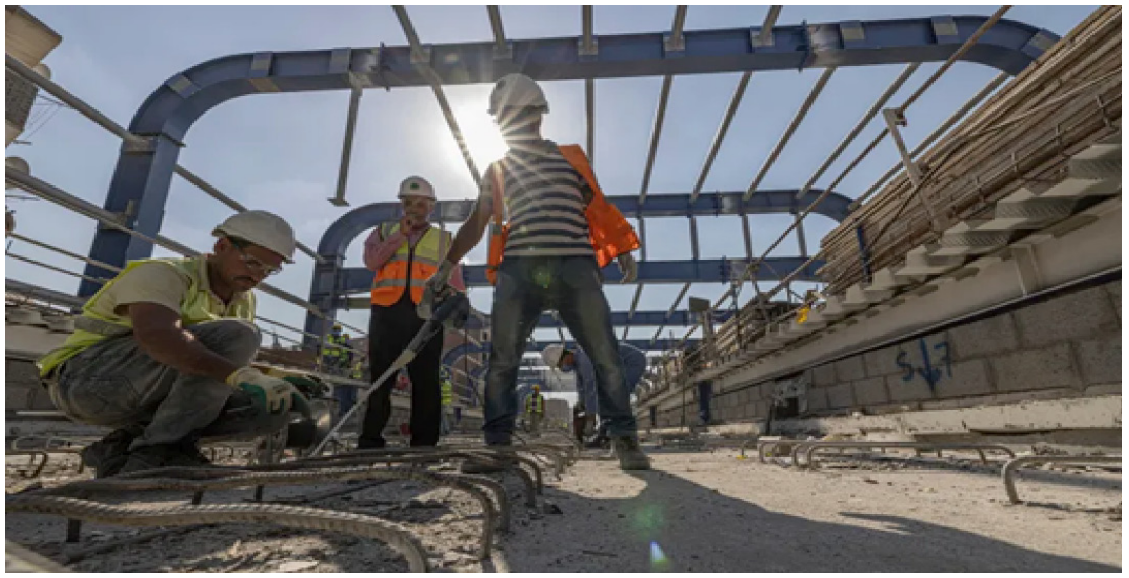

قرب انقضاء قرار وزارة العمل رقم (5) لسنة 2026، القاضي بحظر تشغيل العمال في الأماكن المكشوفة تحت أشعة الشمس، حيز التنفيذ الفعلي اعتباراً من منتصف شهر يونيو الجاري. ويستمر هذا الحظر حتى منتصف سبتمبر، حيث يُمنع العمل يومياً من الساعة 12 ظهراً وحتى 4 عصراً، في خطوة راسخة تؤكد التزام مملكة البحرين بتوفير بيئة عمل آمنة ومستدامة.

أبعاد إنسانية وإيجابيات واسعة

يحمل سريان هذا القرار جملة من الانعكاسات الإيجابية على بيئة العمل والاقتصاد المحلي؛ إذ يمثل خطوة استباقية لحماية القوى العاملة من مخاطر الإجهاد الحراري، وضربات الشمس، والأمراض المهنية المرتبطة بارتفاع درجات الحرارة خلال فصل الصيف، مما يعكس الالتزام بمعايير العمل الدولية ومبادئ حقوق الإنسان. وقد قوبل القرار بتفاعل إيجابي واسع من الأوساط النقابية، حيث بادرت الاتحادات والنقابات العمالية والنقابات باطلاق حملات توعوية لدعم الالتزام باشتراطات السلامة والصحة المهنية. وتتكامل هذه الجهود النقابية بشكل فعال مع ورش العمل والبرامج الميدانية التي أطلقتها وزارة العمل لتوعية أصحاب العمل والعمال بآليات التطبيق الصحيحة.

تحديات على أرض الواقع

رغم الإجماع الوطني والنقابي على أهمية القرار، تبرز على الساحة العمالية عدة تحديات تواجه عمليات التنفيذ الميداني. وتأتي في مقدمة هذه التحديات الضغوط الزمنية التي تواجهها شركات المقاولات والإنشاءات، حيث تضطر لإعادة جدولة ساعات العمل المفقودة نهاراً لضمان تسليم المشاريع في مواعيدها التعاقدية. ويدفع هذا الأمر الكثير من الشركات لتحويل العمل إلى الفترات المسائية أو الليلية، وهو ما يتطلب توفير ترتيبات لوجستية خاصة تسهم في زيادة التكاليف التشغيلية.

إلى جانب ذلك، يبرز تحدي الرقابة الشاملة، إذ يمثل التفتيش على كافة مواقع العمل المنتشرة في مختلف المحافظات، لا سيما المشاريع الإنشائية الصغيرة والمقاولات الفرعية، عبئاً كبيراً على فرق التفتيش التابعة لوزارة العمل وهيئة تنظيم سوق العمل. كما تظل مسألة إيصال الرسائل التوعوية بلغات متعددة للعمالة الوافدة البسيطة، وإقناعهم بالتوقف التام عن العمل، تحدياً مستمراً، خاصة لأولئك الذين يعملون بنظام "الإنتاجية" أو القطعة ويرغبون في مواصلة العمل لزيادة دخلهم اليومي.

عقوبات رادعة

لضمان تجاوز مسألة التراخي في التطبيق وتفعيل الجانب الرقابي، لوحت وزارة العمل باتخاذ إجراءات قانونية صارمة، حيث تنتظر المخالفين عقوبات رادعة تصل إلى الحبس والغرامة المالية التي تتراوح بين 500 و1000 دينار بحريني، مما يضع أصحاب العمل أمام مسؤولية قانونية وأخلاقية حازمة. ويبقى رهان نجاح هذا القرار الإنساني معقوداً على الشراكة الحقيقية بين أطراف الإنتاج الثلاثة؛ عبر رقابة حكومية مستمرة، وتجاوب مسؤول من أصحاب العمل، ووعي نقابي وعمالي مشترك يحمي العنصر البشري باعتباره المحرك الأساسي للتنمية والاقتصاد.

منظمة العمل الدولية: 67 مليون شاب عاطل عن العمل عالمياً

أوضحت منظمة العمل الدولية بأن معدل بطالة الشباب ارتفع عالمياً العام الماضي، فيما سُجّلت بعض أكبر الزيادات في الاقتصادات ذات الدخل المرتفع، وذلك في ظل الطفرة التي يشهدها مجال الذكاء الاصطناعي.

ويظهر التقرير السنوي لمنظمة العمل الدولية حول تشغيل الشباب أن معدل البطالة العالمي للفئة العمرية 15–24 عاما بلغ 12.4٪ عام 2025، مقارنة بـ12.3٪ عام 2024، ما يعادل 67 مليون شخص عاطل عن العمل.

كذلك، ارتفعت بشكل طفيف نسبة الشباب الذين لا يعملون ولا يدرسون ولا يتلقون تدريبا لتصل إلى 20٪، وهو ما يعادل أكثر من 257 مليون شخص.

وبحسب منظمة العمل الدولية، يتوقع أن يبقى معدل البطالة بين الشباب مستقراً عند 12.3٪ في عامي 2026 و2027.

ويظهر التقرير أن التطورات التكنولوجية لا سيما تصاعد دور الذكاء الاصطناعي، تغيّر آفاق العمل لدى الشباب.

ويشير التقرير إلى أن الوظائف التي كانت تشكّل تقليدياً بوابة لدخول الشباب إلى سوق العمل شهدت تراجعاً، خصوصاً الوظائف المكتبية والإدارية ومهن الخدمات والمبيعات والوظائف المرتبطة بالصناعة التحويلية، بالإضافة إلى بعض المهن التقنية.

وقالت سوكتي داسغوبتا، مديرة إدارة التوظيف والمهارات والمؤسسات المستدامة في منظمة العمل الدولية خلال مؤتمر صحافي إن "6.1٪ من الوظائف التي يشغلها حاليا شباب تراوح أعمارهم بين 15 و29 عاماً، تندرج ضمن مهن شديدة التأثر بالتغيرات المرتبطة بالذكاء الاصطناعي».

وتابعت أنه "في حال اختفاء 10٪ من هذه الوظائف المعرضة لتأثير الذكاء الاصطناعي، فإن 5.6 مليون شاب من القوى العاملة، لا سيما في البلدان ذات الدخل المرتفع، سيواجهون خطر البطالة أو الاضطرار لتغيير مهنتهم أو الخروج من سوق العمل».

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

كاريكاتير
خالد الهاشمي

مؤتمر العمل الدولي (114): مواجهة التحولات التكنولوجية وحماية حقوق العمال

في ختام أعمال الدورة الرابعة عشرة بعد المائة (114) لمؤتمر العمل الدولي، التي انعقدت في مدينة جنيف، اعتمد المؤتمر رسمياً وثيقة الاستنتاجات الشاملة الصادرة عن «لجنة المناقشة الدورية بشأن الحوار الاجتماعي والثلاثية». وركزت مخرجات اللجنة على أهمية تعزيز الشراكة بين الحكومات، وأصحاب العمل، والعمال كأداة حاسمة لتوجيه التغيير وإدارة التحولات الاقتصادية والتكنولوجية المتسارعة التي يشهدها العالم.

وأكدت اللجنة في مناقشاتها واستنتاجاتها أن الحوار الاجتماعي يمثل الآلية الأنجع لاستباق وإدارة التداعيات التي تفرضها الرقمنة والذكاء الاصطناعي على مستقبل الوظائف. وشدد المشاركون على ضرورة تبني مقاربة تضع «الإنسان في المركز»، وتضمن توظيف التكنولوجيا المتقدمة بطرق عادلة ومسؤولة تحافظ على كرامة وحقوق العمال وتوفر بيئة عمل آمنة ومستدامة للجميع.

وعلى الصعيد الاقتصادي والاجتماعي، أبرزت مخرجات اللجنة الأثر الإيجابي والملموس للمشاورات الثلاثية والمفاوضات الجماعية في التخفيف من حدة التفاوت في الأجور والحد من معدلات الفقر، خاصة في ظل أزمات غلاء المعيشة والصدمات الاقتصادية العالمية. كما سجلت اللجنة دوراً بارزاً للحوار الاجتماعي في دفع عجلة المساواة بين الجنسين، وتقليص فجوة الأجور، وإرساء سياسات داعمة للتوازن بين الحياة المهنية والشخصية، بما في ذلك تعزيز إجازات الأمومة والأبوة والاعتراف المتزايد بأهمية اقتصاد الرعاية.

جمعيـة «خبـرة» للمتقاعـديـن .. زيـادة الـ 3٪ مبنيّـة علـى حـقّ دستـوري

عبّر البيان الصادر مؤخراً عن جمعية «خبرة» للمتقاعدين عن بعض التحديات المتعلقة بشؤون المتقاعدين، مبرزاً موضوع الزيادة السنوية المتوقفة منذ عام 2020، والتي اتخذ لها شعاراً معبراً وهو «لن ننساكِ يا 3%»؛ حيث شدد البيان على حق المتقاعدين الأصيل في نيل هذه الزيادة المستحقة لهم.

فلاح هاشم

إن هذه الزيادة السنوية في المعاشات التقاعدية تُعد نظاماً معتمداً في معظم دول العالم، بل إنها تخضع للمراجعة الدورية والمنهجية لتعديلها وفقاً لمؤشرات ارتفاع تكاليف المعيشة؛ وذلك للحد من تأثيرات التضخم والحفاظ على القوة الشرائية (القيمة الحقيقية للدخل) لهذه الشريحة العزيزة من المواطنين الذين أفنوا حياتهم في تقديم خدمات جليلة للوطن. وتهدف هذه الخطوة بالدرجة الأولى إلى منع تآكل المعاشات بمرور الوقت بسبب غلاء المعيشة، وتساهم في تحصين المواطن من العوز والفقر، صوناً لكرامته التي كفلها دستور مملكة البحرين، وتضمنتها العديد من التشريعات الوطنية والصكوك الدولية التي صادقت عليها المملكة، وجسدتها برامج عمل الحكومة الموقرة ورؤية البحرين الاقتصادية 2030.

فقد نصّ دستور مملكة البحرين في أكثر من باب وفي العديد من مواده على مبادئ العدالة الاجتماعية، وتحقيق الرفاهية للمواطنين، وحفظ كرامتهم عبر ضمان مستوى معيشي لائق؛ وهو ما ينبغي أن يتجسد واقعاً ملموساً. كما يتسق هذا المسعى مع ما نص عليه العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية (الذي اعتمدته الأمم المتحدة عام 1966 وانضمت إليه مملكة البحرين بموجب القانون رقم (10) لسنة 2007)، حيث أشارت المادة (11) منه بوضوح إلى حق كل فرد في التمتع بمستوى معيشي كافٍ له ولأسرته، بما يفي بحاجاتهم الأساسية من غذاء وكساء ومأوى، وحقه في التحسين المتواصل لظروفه المعيشية.

وفي السياق ذاته، تقدم رؤية البحرين الاقتصادية 2030 عرضاً للمبادئ الأساسية التي يتعين الاسترشاد بها في مسيرة المملكة الرامية إلى تعزيز مكانتها على الساحة الدولية ورفع المستوى المعيشي للمواطنين؛ حيث يتمثل الهدف الرئيسي للرؤية في زيادة دخل الأسرة الحقيقي، وتحقيق حياة كريمة ومستوى معيشي أفضل لشعب البحريني. يتجسد ذلك بالتزام حكومي نصّ عليه برنامج عمل الحكومة (2023 - 2026) في هذا الشأن حرفياً على تحقيق تطلعات المواطنين وتعزيز أهدف التنمية المستدامة حيث اكد في المحوراً الأول من البرنامج على رفع مستوى المعيشة للمواطنين مقدماً اياه على جميع المحاور الاخرى.

وختاماً، فإن عودة صرف الزيادة السنوية بنسبة 3٪ للمتقاعدين ليست مجرد مطلب مالي عابر، بل هي ترجمة حقيقية للالتزامات الدستورية والرؤى الاستراتيجية لمملكة البحرين. إن تلبية هذا المطلب تمثل تقديراً مستحقاً لعطاء هذه الفئة، وضماناً للاستقرار الاجتماعي والمستقبلي. ومن هنا، يتطلع المتقاعدون إلى لفتة كريمة وتنسيق مثمر بين السلطتين التنفيذية والتشريعية لإنهاء هذا الملف، وبما يضمن تفعيل القوانين التي تحمي المواطن وتصون العيش الكريم لجميع أبناء الوطن

فواتير الكهرباء تعيد «الأسر المركبة» إلى الواجهة

فـواتير بمئـات الـدنانيـر..
وقرار حكومي ينتظر اكتمال آلية المعالجة

عادت فواتير الكهرباء والماء لتتصدر النقاش على وسائل التواصل الاجتماعي في البحرين، مع تزايد شكاوى مواطنين من ارتفاع المبالغ المستحقة خلال أشهر الصيف إلى مئات الدنانير في بعض الحالات، وسط تساؤلات عن أسباب هذا الارتفاع ومدى ارتباطه بحجم الاستهلاك، أو بطريقة احتساب التعرفة، أو بوجود أكثر من أسرة تعيش خلف عداد واحد.

وفي قلب هذه الشكاوى تبرز مجددًا قضية «الأسر المركبة»، وهي الأسر التي يجمعها منزل عائلي واحد، بينما يسجل استهلاك الكهرباء والماء على حساب واحد. وهو ما أقرته الحكومة عندما نص قرار مجلس الوزراء في ديسمبر 2025 صراحة على «مراعاة الأسر المركبة» ضمن دراسة آليات دعم الكهرباء والماء للمواطنين.

يرى العداد أسرة واحدة

توضح هيئة الكهرباء والماء أن الدعم الحكومي للكهرباء والماء يمنح للمواطن البحريني المستحق في حساب منزلي واحد فقط، وأن الاستحقاق يرتبط بصاحب الحساب وعنوانه المسجل وصفته باعتباره رب أسرة، إلى جانب مجموعة من الضوابط الأخرى.

هذا النظام يبدو واضحًا عندما يسكن العقار أسرة واحدة. لكنه يصبح أكثر تعقيدًا عندما توجد خلف الحساب نفسه أسرتان أو ثلاث أو أكثر، لكل منها رب أسرة ونمط استهلاك مستقل في الواقع.

المشكلة
أقدم من صيف 2026

ورغم أن موجة الشكاوى الحالية أعادت القضية بقوة إلى الواجهة، فإن جذور المشكلة لا تبدأ هذا الصيف.

ففي عام 2016 بدأ البحرين تطبيق إعادة توجيه دعم الكهرباء والماء، ضمن سياسة فصل التعرفة المدعومة للمواطن المستحق عن التعرفات الأخرى، مع الإبقاء على الدعم للمواطن البحريني على حساب منزلي واحد. ومنذ ذلك الوقت ظل واقع بعض البيوت البحرينية أكثر تعقيدًا من النموذج الذي تفترضه الفاتورة؛ لكن وجود عدة أسر لا يعني تلقائيًا وجود عدة حسابات كهرباء وماء مستقلة.

في 29 ديسمبر 2025، قرر مجلس الوزراء عدم تغيير تعرفة الشريحتين الأولى والثانية للكهرباء والماء للمواطنين في المسكن الأول، ونص القرار بصورة واضحة على «مراعاة الأسر المركبة»، مع إرجاء تطوير آليات دعم الكهرباء والماء للمواطنين في المسكن الأول لمزيد من الدراسة، وتكليف وزير شؤون الكهرباء والماء ووزير التنمية الاجتماعية باتخاذ الإجراءات اللازمة.

وبعد ذلك، أكدت وزارة التنمية الاجتماعية أنها تعمل بالتعاون مع الجهات المعنية على إعداد آلية لدعم الأسر المركبة فيما يخص الكهرباء والماء.

أين تكمن عقدة الحل؟

المعضلة الأساسية هي أن النظام الحالي يربط الدعم بالحساب، في حين أن المشكلة المطروحة تتعلق بعدد الأسر الموجودة خلف ذلك الحساب. مما يترتب عليه إيجاد صيغة تسمح باحتساب عدد الأسر البحرينية المستحقة للدعم والمقيمة بصورة فعلية في العقار، ومن ثم تعديل حدود الشرائح بما يراعي عددها، مع وضع ضوابط دقيقة للتحقق من الإقامة والاستقلال الأسري ومنع ازدواج الحصول على الدعم في أكثر من عنوان.

بالاضافة إلى تسهيل فصل العدادات للأسر التي تشغل وحدات مستقلة داخل المنزل الواحد عندما تسمح الظروف الهندسية والتنظيمية بذلك، بحيث يصبح استهلاك كل أسرة منفصلًا عن الأخرى.

الدعم
للعداد أم للأسرة؟

بعيدًا عن تفاصيل الأرقام والشرائح، تكشف القضية عن سؤال اجتماعي أوسع يتعلق بالطريقة التي تُعرّف بها «الأسرة المستحقة للدعم».

فالبيت الواحد في الواقع البحريني لا يعني دائمًا أسرة واحدة. ومع ذلك، عندما يمر استهلاك هؤلاء جميعًا عبر عداد واحد، لا تستطيع آلية الاحتساب الحالية التمييز بين استهلاك أسرة كبيرة بصورة مفرطة وبين استهلاك طبيعي موزع على عدة أسر تعيش في المكان نفسه.

ومع حلول أشهر الصيف، حين يبلغ استهلاك الكهرباء ذروته، يعود هذا الملف إلى الواجهة بصورة أكثر إلحاحًا، لا باعتباره خلافًا على فاتورة شهر واحد، وإنما باعتباره سؤالًا عن مدى قدرة نظام الدعم على استيعاب واقع اجتماعي تعيش فيه أحيانًا عدة أسر بحرينية مستقلة خلف عداد واحد.

التقدمي ينعى القامة الوطنية محمد حسين نصرالله

بعـــد عقـــود مـــن النضـــال والتضحيـــة

البحريـن فقـدت قامـة استثنائية ارتبـط اسمها بتـاريخ النضـال الوطنـي والديمقـراطـي

إرثه النضالي سيظل حاضراً في ذاكرة الحركة الوطنية ومصدر إلهام للأجيال القادمة

نعى المنبر التقدمي المناضل الوطني الأستاذ محمد حسين نصرالله، الذي انتقل إلى جوار ربه صباح يوم الأحد الموافق 14 يونيو 2026، بعد مسيرة وطنية ونضالية امتدت لأكثر من ستة عقود، شكل خلالها أحد أبرز رموز الحركة الوطنية والتقدمية في البحرين.

وأكد التقدمي، في بيان له، أن البحرين فقدت برحيل نصرالله قامة وطنية استثنائية، ارتبط اسمها بتاريخ النضال الوطني والديمقراطي، وجسدت معاني الثبات على المبادئ، والتضحية، والإخلاص لقضايا الوطن والشعب، مشيراً إلى أن إرثه النضالي سيظل حاضراً في ذاكرة الحركة الوطنية ومصدر إلهام للأجيال القادمة. نعى المنبر التقدمي المناضل الوطني الأستاذ محمد حسين نصرالله، الذي انتقل إلى جوار ربه صباح يوم الأحد الموافق ١٤ يونيو 2026، بعد مسيرة وطنية ونضالية امتدت لأكثر من ستة عقود، شكل خلالها أحد أبرز رموز الحركة الوطنية والتقدمية في البحرين.

وأكد التقدمي، في بيان له، أن البحرين فقدت برحيل نصرالله قامة وطنية استثنائية، ارتبط اسمها بتاريخ النضال الوطني والديمقراطي، وجسدت معاني الثبات على المبادئ، والتضحية، والإخلاص لقضايا الوطن والشعب، مشيراً إلى أن إرثه النضالي سيظل حاضراً في ذاكرة الحركة الوطنية ومصدر إلهام للأجيال القادمة.

وُلد الفقيد في حي الحمام بمدينة المنامة عام 1940، وبدأ مسيرته المهنية في سلك التعليم بعد تخرجه من المرحلة الثانوية أواخر الخمسينيات، قبل أن يواصل دراسته الجامعية في الجامعة الأمريكية في بيروت، حيث حصل على درجتي البكالوريوس والماجستير. وبعد عودته إلى البحرين، تدرج في عدد من المسؤوليات التربوية، فعُين مساعداً لمدير المدرسة الغربية الإعدادية، أبو بكر الصديق حالياً، ثم مديراً للمناهج بوزارة التربية والتعليم، قبل أن يُفصل من عمله إبان تطبيق قانون أمن الدولة نتيجة مواقفه الوطنية.

وأشار التقدمي إلى أن الراحل انخرط منذ ستينيات القرن الماضي في صفوف جبهة التحرير الوطني البحرانية، وأسهم بفاعلية في نشاطها السياسي والتنظيمي، وفي تأسيس المنظمات العمالية والشبابية والطلابية وإصدار نشراتها. وقد تعرض بسبب التزامه الوطني لسلسلة من الاعتقالات بدأت في يناير 1969، إلا أنه واصل دوره في إعادة بناء الهياكل التنظيمية في ظروف سياسية وأمنية بالغة التعقيد.

وأضاف البيان أن نصرالله تعرض مجدداً للاعتقال خلال السبعينيات، قبل أن يفرج عنه في يناير 1974، حيث لعب دوراً مهماً في التنسيق بين "كتلة الشعب" وجبهة التحرير خلال تجربة المجلس الوطني الأولى، واستمر في أداء مسؤولياته القيادية إلى أن اعتقل مرة أخرى عام 1978، ليقضي سنوات في المعتقل امتدت حتى أواخر عام 1983.

ومع مرحلة الانفراج السياسي وإقرار ميثاق العمل الوطني عام 2001، واصل الفقيد حضوره الوطني والسياسي من خلال مساهمته في تأسيس المنبر التقدمي، وانتخابه عضواً في أول مجلس إداري له، إلى جانب مشاركته الفاعلة في مختلف اللجان والأنشطة، واضعاً خبرته النضالية في خدمة الأجيال الجديدة.

ولفت المنبر التقدمي إلى أن عطاء الفقيد قوبل بالتكريم في فبراير 2005 ضمن احتفالية الذكرى الخمسين لتأسيس جبهة التحرير الوطني، كما كُرم مجدداً من قبل المنبر التقدمي في عام 2025 تقديراً لمسيرته الطويلة وتاريخه الوطني، مؤكداً أنه ظل، رغم تقدمه في السن وظروفه الصحية، حريصاً على الحضور والمشاركة العامة، ومجسداً لقيم الالتزام والتواضع ونكران الذات.

وتقدم المنبر التقدمي بأحر التعازي وصادق المواساة إلى رفيقة دربه المربية الفاضلة الأستاذة فاطمة العريض، وإلى بناته كميلة وخاتون وأمل، ونجله الدكتور حسين، وجميع أفراد أسرته ومحبيه ورفاق دربه، سائلاً الله أن يتغمده بواسع رحمته، وأن يحفظ للراحل ذكراه الطيبة وتاريخه النضالي في ذاكرة الوطن وأبنائه.

الأستاذ

د. حسن مدن

منذ أن عرفت المناضل محمد حسين نصر اللّه، وأنا تلميذ في نهاية المرحلة الابتدائية، بداية المرحلة الإعدادية في مدرسة الخميس حيث كان نائباً لمدير المدرسة يومها، ونحن نسميه "الأستاذ"، واستمرّ هذا الوصف على ألسنتنا جميعاً كلما التقيناه، حين نرحب به أو نحييه، وكلما أتينا على ذكره الطيب، فلا يمكن أن يرد اسمه دون أن يسبقه وصف "الأستاذ".

هذا الوصف، أو اللقب، الذي لازمه طوال حياته أكثر من ذكرى بعيدة للمهنة التي بدأ بها مشواره المهني في سلك التدريس بعد تخرجه من الجامعة الأميركية في بيروت عام 1966، وأكثر من عادة درج الناس على استخدامها عند مخاطبته، إنّه أقرب إلى تعريف كامل لشخصيته، وإلى تحديد دقيق للدور الذي أداه في حياته منذ شبابه وحتى رحيله. فالرجل الذي بدأ حياته معلماً ظلّ معلماً بأخلاقه وتمسكه بمبادئه ومواقفه، وهو يخوض غمار العمل الوطني، ويواجه السجن والاعتقال والملاحقة، كونه واحداً من الوجوه البارزة في الحركة الوطنية البحرينية التي قدّمت الكثير من التضحيات على مدار عقود.

في العادة، يكتسب الناس ألقابهم من المناصب التي يشغلونها أو المواقع التي يصلون إليها، لكن محمد حسين نصر الله اكتسب لقبه من رسالة آمن بها وعاش من أجلها، فإذا كان التعليم بالنسبة إليه إيماناً بقدرة الإنسان على التغيير، وقناعة بأن بناء المجتمع يبدأ من بناء وعي أبنائه، فإنّ القناعة نفسها تجسدت في انخراطه في العمل العام والنضال الوطني، فاستطاع الجمع بين قاعة الدرس وساحة النضال، كأنّه رأى لهما رسالة واحدة، وكأنّ الواحدة منهما امتداد طبيعي للثانية. فالمعلم الحقيقي لا يكتفي بتلقين المعرفة، وإنما يسعى إلى غرس قيم العدالة والكرامة والحرية والمسؤولية، والنضال في سبيلها والدفاع عنها بتفانٍ وإخلاص.

هكذا كان الأستاذ محمد جامعاً بين النضال كواجب أخلاقي تجاه شعبه ووطنه، والتربية كمهمة وطنية. من تجربته النضالية نعلّم الصبر والثبات والتضحية، حيث تعرض للاعتقال أكثر من مرة، وأمضى سنوات من عمره في السجون، وفصل من وظيفته بسبب مواقفه وتمسكه بقناعاته، وإذا كان السجن، بالنسبة إلى كثيرين، تجربة تكسر الإرادة وتدفع إلى التراجع أو الصمت، فإنّه بالنسبة إلى أصحاب المبادئ الراسخة يتحوّل إلى امتحان للثبات. وكلّ من يعرف سيرة الأستاذ محمد حسين نصر الله يدرك أن سنوات السجن لم تنل من إيمانه بالقضية التي ناضل من أجلها، ولم تدفعه إلى التخلي عن التزامه الوطني، هو الذي أدرك منذ البداية أنّ العدالة حق لا تكتمل كرامة المجتمع من دونه، وأن سعادة الناس تقوم على المشاركة والعدالة والشعور بالمواطنة الكاملة، والحقّ في حياةٍ كريمة وآمنة وحرة.

أكثر ما يميز المناضلين الحقيقيين أنهم لا يفصلون بين ما يقولونه وما يعيشونه. فالأفكار التي كانوا يدافعون عنها في العلن هي نفسها التي توجه سلوكهم في الحياة اليومية. ولهذا لم يكن احترام الناس لمحمد حسين نصر الله وتقديرهم له نابعين فقط من تاريخه النضالي وسنوات الاعتقال التي قضاها، بل أيضاً من الصورة الإنسانية التي عرفوه بها: رجلاً متواضعاً، قريباً من الناس، مؤمناً بالحوار، ومتمسكاً بقيمه مهما تبدلت الظروف.

لقد مرت البحرين خلال العقود الماضية بمحطات سياسية واجتماعية مهمة، وشهدت أجيالاً متعددة من المناضلين والناشطين، ممن لعبوا أدواراً في الحياة السياسية والاجتماعية في وطنهم، وبين هؤلاء جميعاً كان للأستاذ محمد حسين نصر الله مكانة خاصة، لأنّه جمع بين صلابة الموقف وهدوء المربي، وبين روح المناضل وحكمة المعلم، وعلى هذا يشهد الجميع، حتى من اختلفوا عنه في الرأي أو الموقف، حيث كان قدوة في التمسك بالمبدأ دون أن يكون أسيراً للتعصب والانغلاق.

واليوم، بعد رحيله، يبقى هذا اللقب أجمل ما يمكن أن يختصر سيرته. فالأستاذ الحقيقي هو من يترك أثراً يتجاوز حضوره الجسدي، ومن تتحول حياته نفسها إلى درس للأجيال القادمة. ومحمد حسين نصر الله كان واحداً من هؤلاء. غاب الجسد، لكن الدرس ما زال حاضراً: إنّ من يدافع عن الحرية يجسدّ أنبل معاني إنسانيته، ومن يخلص لوطنه وشعبه يكون وثيق الصلة بالناس ومحل اعتزازهم.

لهذا كلّه سنظلّ نتذكره بالاسم الذي أحببناه وأحبّه الناس من خلاله: الأستاذ، هو الذي لم يدّع الأستذة أو يمارسها على أحد، فالناس هم من منحوه الوَصف، لما عرفوه عنه من تواضع ونكران ذات قلّ نظيرهما.

إنه الأستاذ لأنّه جعل من حياته كلها درساً في الوفاء للمبادئ، والإخلاص للوطن والإيمان بحق الناس في الحرية والكرامة والسعادة. مثله لا يغيبون عن الذاكرة، كونهم وجهها المضيء، وكون اسمائهم وأدوارهم اقترنت بذاكرة الوطن الحاضرة دوماً.

الكاتب مع المناضل محمد نصر اللّه في مقر المنبر التقدمي

ورحــل الأستــاذ نصـــر اللـــه

إنها لمهمة ثقيلة وصعبة أن تكتب عن مناضل بقامة محمد حسين نصر الله الذي بارح هذا العالم، رحل ونحن في أمسّ الحاجة إلى هؤلاء المناضلين الأشدّاء الذين لم يبخلوا عن تقديم جلّ ما يملكون في سبيل تقدّم وطنهم ونصرة شعبهم والأخذ بيد الأجيال التي قاموا بتدريسها والسهر على تعليمها أبجديات حبّ الوطن والوطنية الجامعة.

حين أشرع في الكتابة عن الأستاذ لابد من تذكر الأيام الأولى بمعرفتنا به ونحن في الصفوف الإعدادية بمدرسة جدحفص، كنا نتابع بكثيرٍ من الاهتمام والشغف سيرة الأستاذ ذائع الصيت ذا الشخصيّة الاستثنائية الرفيعة لما كان يتمتع به من مهارات قيادية وهو في منصبٍ رفيع، نائب مدير المدرسة.

خطف منظره المتواضع بصري منذ اللحظة الأولي وبقت صورته في ذاكرتي حيّة نضرة منذ تلك الأيام البعيدة عندما كان يغيب طويلا وبصورة متكررة عن المدرسة، لنعلم بعد حين باعتقاله، حتى حظيت بالإلتقاء به بعد التخرج من الجامعة في العام 1984م بعد غياب طويل.

إنه بين من عرفتهم أصدقهم قولاً، وأرهفهم شعوراً، وأقربهم إلى الناس، فمن يضارعونه في هذه الصفات يعدون على أصابع اليد. رجل فاضل طاهر حقاً، يشرق طيبة، غاية في التواضع، جميل بنبل نفسه وعظمة روحه، كان قلبهُ سماءً زرقاء صافيةً لا أثر فيها لأي غيمة، رجلاً يتصف بصبر ودأب لا متناهيين، وقف حياته كلها على النضال من أجل إسعاد شعبه.

ظلّ كما هو لم يتغير في تواضعه ومحبته للناس، يفتنك بلطفه وطيب قلبه، بسيط، عالي الأخلاق، ذو ذمة وضمير، على جانب عظيم من الوقار والمهابة، صلب الإرادة، سخي، يتميز بنُبل عظيم، مستعدّ للتضحية حين تجب، يدخل إلى النفس بسرعة. مسالم وهادئ قليل الكلام لكنه يمتلك من الأسرار التنظيمية ما لم يمتلكه أي من الرفاق الذين عاصروه، وهذا ما لحظته عندما شرعنا في تدوين سيرة مناضلي جبهة التحرير، حيث كان هو من يقودنا إلى معرفة دقائق الأمور وخصائص أوضاع كل رفيق من الرفاق لما لديه من فراسةٍ ومعلومات واسعة عن الجميع، بل يصحح المعلومات والتواريخ أثناء السرد ليعطيك فكرة عامة عما كان عليه الوضع في تلك الفترة من الزمن، حيث كان حاضر الذهن، ويعرف كيف تطرح الأسئلة والردود بما يكفل للراوي أن تتدفّق سرديّته بسهولة.

يُبهرك بما يمتلكه من معلومات دقيقة ومحطات مهمة عن تاريخ البحرين وأوضاع المعتقلين والعمل السري والتنظيمي الذي كان هو المحرك الأساسي والرئيسي له دون أن يؤثر نفسه به، بل أنّ ما يذكره عن تلك الفترة محاط بمقدار العمل المضني الذي أخذه على عاتقه حيث كان لديه رسالة يؤديها، ولذلك كان نصيبه من الاعتقالات والملاحقات وافراً.

شخصية الأستاذ محمد تثير الإعجاب حقًّا. إنّه رجلٌ يفكر في أمور عديدة. متّقد الذّهن لا تفوّته التفاصيل، ومع ذلك يحمل داخله أسراراً كثيرة لا يفصح عنها، فقد تحمل طاحونة الحياة الصعبة وأخذ على عاتقه كل

حميد الملا

المسؤوليات وسط ظلمة قاسية، كلّها مكابدات تحتاج لمن يخرجها من دوائر الظلّ والعتمة، كانت تلك أياماً لا تُنسى، عندما كان قانون أمن الدولة مسلّطاً على الرقاب والرفاق غيّبتهم المنافي والسجون.

فيض نشاطه السياسي يتجاوز البحرين حيث كان على تواصل مع رفاقه المبعدين في الخارج فكان حلقة الوصل معهم، يرسم لهم الصورة الواقعية الواضحة عن أوضاع البلد وأحوال الناس ومعيشتهم والمشاكل التي يعاني منها المواطنون بواقعية شديدة.

لذا بوسعنا إدراك ذلك من خلال ما كُتب أو قيل عنه أثناء حياته وبعد رحيله، فأقلام العديد من رفاقه وأصدقائه أخذت تكتب جزءاً يسيراً من سيرته العطرة، هذا إلى جانب ما حظي به من جنازة مهيبة، حيث غصّ المكان بالمشيعين من كل أطياف المجتمع مما يدلل على محبة الناس له ووفاءهم لدوره الوطني البارز.

إن نصر الله كمناضل اتجه بكل كيانه إلى مستقبل وطنه رغم ما عاناه من سنوات السجن الطويلة مقيداً بالأصفاد، ولكنه لم ينحنِ أو ينكسر في يوم من الأيام، فلديه من القوة والعزيمة الصلبة والشجاعة ما جعله يصمد لضربات القدر دون أن يشتكي من المصير ولا حتى من الواقع الذي آل إليه بعد فصله من التدريس، ومع ذلك حرص كل الحرص على إخراج جيل يعي معنى الوطنية الحقة التي لا تعرف الطائفية ولا تساوم على تقسيم الوطن ولهذا نجد كل من كتب عنه يشيد به كمناضل وطني عابر للطوائف.

ظلّ وفياً لمبادئه حتى آخر رمق في حياته متواصلاً مع رفاقه، مشاركاً مشاركة فعّالة في لجان المنبر التقدمي وهو في عمر متقدم ليعطي درساً لنا في أهمية العمل الوطني في مستقبل الوطن، فكان محلّ إعجاب وتقدير رفاقه لما يقوم به من أدوار نضالية.

ولا بد من الإشارة هُنا إلى أن الأستاذ كان نائباً للرئيس عند تأسيس المنبر التقدمي واليد اليمنى للمرحوم المناضل أحمد الذوادي في أول إدارة تشكلت لما لذلك من دلالات.

وفي المرحلة الأخيرة من حياته بدا واضحاً أن التعب يستولي عليه، وأن قواه تبارحه شيئا بعد شيء، إلا إنه ظلّ على سابق عهده وفياً لمنبره التقدمي، حريصاً على التواجد في مقرّه مع رفاقه مقدما نصائحه القيمة باثاً فيهم نفحات من أفكاره النيرة، مانحاً إياهم إلهاماً وعزيمة وقوة لمواصلة الطريق الذي بدأه الأوائل المؤسسون على الرغم من مرضه، كأنه يريد أن يقول كل ما كان يزخر به قلبه، وأن يفصح مرة أخيرة عن أعمق خطرات نفسه.

ثمة من يقول إنّ المناضل يموت كغيره من البشر، بيد أن هذا الموت الجسدي ينطوي على الأساس الوحيد لخلوده الشخصي، فإرثه النضالي هي كلمته المتجسدة، التي أصبحت منارة وثمرة للأجيال اللاحقة لما قد يتركه من أثر بليغ على الآخرين ولما يمتاز به من معارف وأدوار لا يمتلكها إلا هو.

ولا بد لنا أن نقول إن قلب هذا الإنسان الكبير على صله قرابة بنبض كل رفيق من رفاقه بما يفيض به من حب لهم، فقد كان بحراً من الخير، وشلالاً من الحب، فأعطانا دروساً في الكبرياء والتفاني، وعلمنا كيف نقرأ عمق الأشياء. وأن نتوقف أيضاً عند كل التفاصيل، وأن نحب الحياة رغم ما نواجهه من صعوبات بالإصرار والصبر والأمل.

ذكراه ستظل قائمة في أعماق قلوبنا جميعاً، حاضرةً أمامنا ما حيينا، فله منا الحب والعرفان وله المجد والخلود ولروحه السكينة.

بصراحة

محمد نصر اللّه .. مناضل قلّ نظيره

فاضل الحليبي

يقع «فريق الحمَّام» في قلب المنامة عاصمة البحرين، يفصله عن "فريق المخارقة" شارع باب البحرين، ومن جهة الشمال "فريق الحطب"، ومن جهة الشرق مستشفى الإرسالية الأمريكية أول مستشفى في البحرين أُنشِئَ عام ١٩٠١، ومن جهة الغرب "فريق بيوت الحكومة" القريب من سينما الحمراء وسينما النصر، وكانت في الحي حديقة الباخشة، أول حديقة في البحرين تأسَّست في عام ١٩٣٢، لم يبقَ لها أثر، غير مسجد الباخشة الذي يحمل اسمها.

كما يوجد في الفريق ثلاث مدارس: مدرسة المنامة الثانوية للبنات التي تأسَّست في عام 1951، كأول مدرسة ثانوية للبنات في البحرين تخرجت منها شخصيات نسائية معروفة لهن إسهامات بارزة في المجتمع، ومدرسة الزهراء الابتدائية للبنات وتأسَّست في عام 1951، وسابقاً مدرسة الإمام علي الابتدائية للبنين، وأيضاً المدرسة الإيرانية التي أغلقت منذ سنوات، كما يوجد في الفريق العديد من المآتم الحسينية للرجال وللنساء، وبعض الأندية للجاليات الأجنبية سابقاً، وبالقرب من "الحي" توجد كنيسة القلب المقدس، ولا زالت بعض بيوت المسؤولين الإنجليز موجودة في شارع الشيخ عيسى، شاهدة على حقبة الاستعمار البريطاني في البحرين، ويشتهر الفريق بوجود (إشارة نمرة خمسة)، التي يُقال بأنها أول إشارة ضوئية في البحرين، عندما كان تشارلز بلجريف هو المستشار السياسي في البحرين.

شهد هذا الفريق أحداثاً سياسية كبيرة من خمسينيات القرن الماضي (أحداث هيئة الاتحاد الوطني في أعوام (1954 – 1956)، وأحداث انتفاضة مارس 1965 المجيدة، وفيه تفتَّحت عيوننا على (فرسان التحرير) – مناضلي جبهة التحرير الوطني البحرانية، حيث برزت شخصيات مناضلة بعضهم أحياء يرزقون وبعضهم رحلوا عن الدنيا، دون ان تتعرف أجيال عديدة على تضحياتهم من أجل الوطن والشعب، فقد عملوا بصمت ورحلوا بهدوء و بعضهم قضَوا سنوات في السجون والمعتقلات والمنافي، وكان من أبرزهم أستاذنا المناضل الكبير محمد حسين نصرالله الذي رحل عنا في صبيحة يوم الأحد 14يونيو 2026م جسداً ولكنَّه باقٍ في قلوبنا، في حيِّنا كان التعايش والتسامح يسودان فيه.

فعندما نتصفح السيرة الشخصية والنضالية لفقيدنا الأستاذ، فهي ناصعة البياض، مناضلٌ قلَّ نظيره في الوطن، في سنواته الأولى عندما التحق بصفوف جبهة التحرير الوطني البحرانية، نشط فيها بشكل سري للغاية وساهم في تأسيس المنظمات الجماهيرية الشبابية والطلابية وإصدار العديد من النشرات السرية، قبل الضربة البوليسية ضد مناضلي الجبهة في عام 1968، وفي يناير من عام 1969 تمَّ اعتقاله، كان وقتها مساعد مدير في المدرسة الغربية الإعدادية للبنين (مدرسة أبوبكر الصديق الإعدادية للبنين حالياً)، وبعد ستة أشهر تمَّ إطلاق سراحه، وفي بداية سبعينيات القرن الماضي أُعتقِل أكثر من مرة، وحُرِمَ من الترشح للانتخابات

في السابع من ديسمبر 1973، فقد كان معتقلاً حينها، وتمّ إطلاق سراحه في يناير 1974 بعد بدء الحياة النيابية، حيث فازت في الانتخابات «كتلة الشعب «اليسارية المدعومة من جبهة التحرير الوطني، بثمانية نواب من أصل ثلاثين نائباً هم مجموع أعضاء المجلس، وكان الأستاذ ينسق مابين الكتلة والجبهة إبَّان فترة المجلس الوطني.

وفي عام 1978م تمَّ اعتقاله مجدداً ومكث في السجن حتى نهاية عام 1983، وكان قبل الاعتقال رئيس قسم المناهج في وزارة التربية والتعليم ، وبعد إطلاق سراحه فُصِلَ من الوزارة، في عام 1984 تزوج من الأستاذة الفاضلة فاطمة العريض ورزق منها بثلاث بنات وولد واحد، وبعدها عمل في المطبعة الشرقية لسنوات عدة وواجه تحديات كبيرة في حياته العملية.

اتسمت شخصيته بالطيبة والتواضع والبساطة وحسن الخلق والهدوء، وتقديم المساعدات للمحتاجين، ونذر نفسه لخدمة الناس، وبهذا الفعل جسّد مبادئ وقيم حزبه الذي ينشط في وسط الجماهير.

يصف المفكر الإيطالي الماركسي أنطونيو غرامشي المثقف العضوي بأنه "ذلك العنصر المفكر والمنظم في طبقة اجتماعية أساسية معينة. ولا يتميز هؤلاء المثقفون بمهنهم، التي قد تكون أية وظيفة تتميز بها الطبقة التي ينتمون إليها، بقدر ما يتميزون بوظيفتهم في توجيه أفكار وتطلعات الطبقة التي ينتمون إليها عضوياً."

هكذا كان المناضل والمثقف العضوي الأستاذ أبو حسين، ينشر الأفكار والقيم الإنسانية التي يؤمن بها في صفوف الجماهير بغض النظر عن انتمائهم الطبقي والاجتماعي، وكان لنا نحن أبناء التحرير في "فريق الحمَّام" بمثابة القدوة والمثل الأعلى، مناضلاً قدَّم تضحيات كبيرةً، كان بالإمكان أن يختار طريقاً آخر ويحصل على مناصبَ كبيرةٍ ويتمتع بحياته مثل سائر المواطنين، بدلاً عن كل هذه المعاناة والتضحية، لكنَّه اختار طريق النضال الوطني، الطريق الأصعب والمليء بالأشواك والصعاب، وكأننا به يردِّد نشيد جبهة التحرير الوطني الشهير: "طريقنا أنت تدري ... شوكٌ ووعرٌ عسير ...ولكننا سنسير سنسير ، سنمضي سنمضي إلى ما نريد وطنٌ حرٌ وشعبٌ سعيد».

فالأخلاق العالية التي كان يتمتع بها يتحدث عنها حتى المختلفون معه في الرأي والفكر لهذا يكنُّون له الاحترام والتقدير، ويقولون بأننا لا نسمع صوته حتى يرتفع في أحاديثه الثنائية، مستمعٌ جيدٌ لمن يتحاور معه. أنا شخصياً كنتُ كثير التحاور معه عن نضالات جبهة التحرير الوطني البحرانية ونشاطها السري في الظروف الصعبة التي مرَّت بها، في كل سنوات النضال ضد الاستعمار البريطاني والرجعية، يقول كانت الجبهة في كل مرة تتلقى ضربة بوليسية موجعة تخرج منها وتعيد بناء نفسها من جديد. فالمناضل الراحل الكبير الأستاذ أبو حسين، واحدٌ من الذين ساهموا في إعادة بناء الحزب من جديد في أكثر من مرة، كان يقول من المهم أن يستمر نشاط الحزب، حتى لو يبدأ من النواة الحزبية الصغيرة خطوة بخطوة يكبر الحزب، هذا المناضل الفذ عشق جبهة التحرير الوطني، لهذا كانت لديه خبرةٌ واسعةٌ في العمل الحزبي وكيفية المحافظة على الحزب وأعضائه، ونسج علاقاتٍ واسعةً مع الناس ومناضلي الحركة الوطنية الديمقراطية في البحرين والخليج، ويكنُّون له الاحترام والتقدير، كان واضحاً في الحضور الكبير يوم التشييع في مقبرة الحورة بالمنامة.

رحيله خسارة كبيرة للمنبر التقدمي والحركة الوطنية الديمقراطية البحرينية، وتعازينا ومواساتنا إلى عائلته زوجته وأولاده ورفاقه ومحبيه.

قالوا عن الأستاذ

محمد نصر اللّه.. صوت من أصوات الحرية

محمد نصر الله مع أحمد الشملان وزوجته فوزية مطر

فهد المضحكي

برحيل المناضل الأستاذ محمد حسين نصرالله فقد اليسار البحريني والعربي عامة أحد رموزه الأوفياء. لم يغب عن ساحة النضال في أشدّ الظروف خطورة وهو الذي لم يبدل نهجه الوطني والأممي في مختلف مراحل النضال.

في كتابه «الإنسان موقف» ، يقول المفكر محمود أمين العالم: «ما أكثر لحظات الفقد في حياة الإنسان، هناك من حالات الفقد، ما لا يقف الإحساس بها عند حدود ما تفقده، وإنما يصبح إحساسًا بفقد شامل، بفقد لا تهتز به أركان النفس وحدها، بل تهتز به أركان الحياة كذلك «.

هكذا كان الإحساس بفقد المناضل الكبير محمد حسين نصرالله.

الأستاذ محمد إنسان بسيط، متواضع، صلب عندما يتعلق الأمر بقضية شعبه. كان شخصية كاريزمية جاذبة بما يتمتع به من دماثة الأخلاق، وحبّ الناس، وإبتسامة المحيا، يصعب أن يغضبه أحد، ولذا ظل يحتفظ بديمومة العلاقات المتينة مع مختلف الأطراف السياسية .. كان صلبًا في الدفاع عن قضية الإنسان وحريته وكان أشد حسمًا في الدفاع عن المبادئ الماركسية وحزب الطبقة العاملة، لم تنحرف بوصلته السياسية نحو المذهبية والطائفية والمصالح الذاتية الضيقة، وفي الزنازين الضيقة لم ينكسر أو يتراجع.

لقد عرفته عن قرب مناضلًا صلبًا ورجل مواقف في لحظات فارقة في العمل السياسي. لقد كان رجل مبادئ ونزاهة في الفكر، سياسيًا محنكًا، صقلته التجارب، فأمسى ثاقب النظر، عميق التفكير، متزنًا في التحليل، وكان له دور القائد في تماسك الحزب. نعم كان سياسيًا مخلصًا لوطنه في زمن ودّع فيه الكثير دروب النضال، واختاروا السلامة على حساب المبدأ. في وقت تراجع فيه البعض خطوة للوراء، آثر هو التقدم، ليس بحثًا عن مجد شخصي، بل وفاءً لقضايا آمن بها وعاش من أجلها. نعم لقد عرفته مدافعًا أمينًا عن الالتزام والمبدأ، وعن وحدة الحركة الوطنية والنقابية، وعن حقوق المرأة والفكر المستنير.

لم تكن تهمه مصلحته الشخصية البتة، بقدر ما كان همه الأول، وهاجسه الأساسي هو الدفاع عن الوطن والمساواة والعدالة والتقدم، ورحيله خسارة كبيرة ليس على أهله وحزبه فحسب، بل على الوطن ككل.

برحيله سنفقد مناضلًا كبيرًا، وعلمًا من أعلام الكفاح الوطني والأممي، وسياسيًا مخلصًا لوطنه وفكره .

عزاء لأسرته ومحبيه ورفاق دربه.

قالوا عن الأستاذ

رحـــل التـــــربويّ كـــريـــم الأخـــلاق

فُجِعنا برحيل قامة العمل التربويّ الأستاذ والمربّي الفاضل محمد حسين نصر الله، الإنسان الرائع في مواقفه وبساطته الذي يتميّز بكرم الأخلاق والحكمة في علاقاته وحديثه مع الآخر وتقديره للآخر وفي معالجة القضايا المتداخلة في وقائعها وبُعد مقوّمات قيمها الأخلاقيّة في الحقل التربويّ والاجتماعيّ والوطنيّ، وكان لتلك المُميّزات الشّخصيّة التي تتّسم بالقيم الأخلاقيّة المُحاطة بمآثر البساطة والسِّمات القويمة في مآثرها الإنسانيّة أثرها فيما حظي به مُعلِّمُنا الراحل من احترام عالٍ في محيط المجتمع الطلابي في المدارس التي حطّ رحاله فيها وكان يشرف بمستوى رفيع من الأمانة على إدارة ملفاتها التربويّة.

الصُّدفة التاريخيّة قادت إلى التعرّف على شخصه الكريم في الحقل المدرسي عندما انتقلت الى المرحلة الإعدادية في سبعينيّات القرن الماضي والتحقت بمدرسة جد حفص الإعدادية للبنين حيث كان مديرًا مساعدًا فيها، مشهد اللقاء في جماله الإنساني عزّزه عامل الصُّدفة وحدث في بداية العام الدراسيّ عندما التقينا في فناء المدرسة واستوقفني وتحدّث معي بمستوى عالٍ من التواضع والاحترام، وكان لكرم الأخلاق التي يتّصف بها جعلني أصغي إلى حديثه الشيّق وأتمعّن في بُعد

د. شبر الوداعي

المكوّن التربويّ للرسائل التي كان يحرص على توجيهها وإيصالها، ذلك ما جعلني أكنُّ لشخصه الجميل مستوىً عاليًا من التقدير والاحترام، والحرص على زيارته في مكتب الإدارة والاستماع إلى توجيهاته التي تميّزت بقيمها التربويّة وبمآثرها في تبصيري بجوانب مهمّة في مسيرة الحياة الدراسيّة والمدرسيّة والشخصيّة، وذلك الموقف الذي رسّخ في مكوّني الذاتي الإعجاب بشخصه، دفعني عندما انتقلت إلى مدرسة المنامة الثانوية للبنين إلى انتهاز الفرصة بعد تعيينه مديرًا للمناهج التربويّة في وزارة التربية وزيارته في مكتبه والاستماع إلى توجيهاته التربويّة التي شكّلت قيمة في بناء المسار القويم في النّشاط الدراسيّ وفي مسيرة مواقفي الاجتماعية.

الموقف الذي يثير اهتمامنا ونحن نُسجّل مآثر معلّمنا الراحل، إنّ تاريخ المسيرة التربويّة في بلادنا شهد بروز قامات تربويّة خدمت بكفاءة وإخلاص في دعم إنجاز أهداف المشروع التربويّ في مرحلة كانت بحاجة فعليّة لمبادرات الصفوة من مجتمعنا، النوع المُتميّز في مواقفه واخلاصه في رعاية ودعم المشروع الوطنيّ، وكان لهم مواقف مميّزة في التضحية بجهدهم الشخصيّ بمستوى عالٍ من الكفاءة والالتزام والموقف الواعي في دعم مشروع الدولة.

هذا النوع من القامات الذين يعدّون الصفوة في تلك المرحلة التاريخيّة في مسيرة العمل التربويّ، تقديرا لتلك المبادرات والمواقف التربويّة القويمة في بُعدها في صناعة المجد الوطنيّ، يجدر أن يسلّط الضوء على مآثرهم وتسجيل وحفظ مناقبهم وسيرهم التربويّة لتكون مشاهد مواقفهم التاريخيّة مدرسة للأجيال المُقبلة في تعزيز مآثر العمل التربويّ في بلادنا، ومُعلِّمُنا الراحل التربوي محمد حسين نصر الله منارة يجدر أن يُخلّد شخصه ومواقفه التربويّة.

وانطفـأت شمعـــة المنـــاضـــل محمـــد نصـــر اللـــه

كتب أحدهم: «لكثرة ما رئيت رفاق دربي؛ بدأت أكتب شيئاً في رثائي» رحل الأستاذ «محمد حسين نصر الله» الذي كان مثلاً بالانتماء، مسكوتاً بالوطن وقضاياه في زمن الشدائد والانكماش، هو المضخي الثابت على المبادئ، الملتزم المتواضع، العميق في أثره دون تكلف، الاستثنائي العابز في كرم روحه ودمائه خلقه، الرفيق الهادئ المنصت للأصوات بمسؤولية دون ضجيج.

قال نزار قباني مرة: «الموث لا يُخيفني... ما يُخيفني أن أموت دون أن أترك أثراً»؛ أما رفيقنا المناضل «نصر الله» فلا خوف عليه من الغياب، فقد رحل مخلفاً إرثاً نضالياً ملهماً لمن لا يزال قابضاً على الجمر ويحلم بوطن لا يرجف فيه الأمل.

في سيرته التي انطلقت من فريق الحمام بالعاصمة المنامة، دأت حباته الممنة ف. التعلّمه بعد أ.

خرج من الجامعة الأمريكية في بيروت؛ وانخرط في صفوف «جهة التحرير الوطني البحرانية» ومارس العمل السياسي والتنظيمي السري وأسس منظمات جماهيرية «عمالية، شبابية وطالبية بالحركة الوطنية».

تعرض للاعتقال مرات عدة في سبعينيات القرن الماضي وقضى مددًا طويلة امتدت حتى عام 1983؛ وعانى طويلاً وخرم من حق العودة إلى عمله أثناء تطبيق قانون أمن الدولة؛ ومع مرحلة الانفراج السياسي في بداية الألفية، كان أحد المؤسسين لجمعية «المنبر التقدمي» حيث شارك في أنشطته وفعالياته مقدماً ذخيرة خبراته النضالية وتجاربه. وإذ ننعى اليوم رفيقنا الأستاذ «محمد حسين نصر الله» مناضلاً كبيراً بسيرة وطنية شامخة، فإننا نتقدم بخالص التعاون والمواصلة إلى رفاقه ورفيقاته في «المنبر التقدمي» وإلى عائلته وجميع أفراد أسرته وكل محبيه.

د. منى عباس فضل

قالوا عن الأستاذ

محمد نصـر اللـه.. مـدرسـة النضـال

د. عباس هلال

منذ اعتقاله في 1968 في ضربة جبهة التحرير بدأ مسلسل الاعتقالات في 1972– 1974– 1979 ومدرسة في النضال

رحم الله عزيز الجميع، عزيز التربية وعزيز النضال محمد حسين نصر الله، ابا حسين، نعم الاستاذ التربوي استاذ النضال، استاذ السجون، استاذ التزام الفكر والوعي، الاستاذ القدوة الرفيعة في العلاقات الانسانية والنضالية والاجتماعية واستاذ الصبر والعمل والامل.

تخرج الاستاذ من الجامعة الامريكية A.U.B كلية التربية 1966، فهو من جيل الرواد المؤهلين في التربية والتدريس، تم اعتقاله في 1968 في الضربة العنيفة ضد جبهة التحرير، وتتالى مسلسل الاعتقالات في 1972–1974–1979. كان اللقاء في سجن جو بعد وصول المجموعة من سجن سافرة الى جو، بقي في سجن جو حتى 10 ديسمبر 1981 ثم الترحيل الجماعي الى سجن المنامة، تم اطلاق سراحه في 1984، هكذا كان الاستاذ بأخلاقه الرفيعة مدرسة نضالية ملهمة.

ومنذ أن كان مدرساً في مدرسة الحورة الاعدادية والثانوية لاحقاً مدرساً للغة الانجليزية، ومديراً مساعداً ورئيس قسم المناهج بوزارة التربية مثالاً في اللطف والود والاخلاص. وبعد مرحلة السجون عمل في المطبعة الشرقية، رمزا في القناعة، ورمزاً في العفاف، ملهما في الامل.

الاستاذ المرحوم له الحضور اللامع في فعاليات المنبر التقدمي يضفي اشراقاً وهيبة وذخراً وسنداً وكرامة، ولم ينقطع عن المشاركة حتى في مرضه حتى اقعده المرض في السنوات الاخيرة.

تم تكريمه مراراً وفي مناسبات عديدة، يشار له بالبنان ومن الجميع بالاستاذ ، استاذ الثقافة استاذ نقاء وطهارة النضال، استاذ الحب والمحبة، استاذ الامعية والمهنية التربوية، استاذ جمال الانسانية.

خالداً الاستاذ في ذاكرة الوطن، خالداً في ذاكرة التربية والعلوم التربوية، خالداً في ذاكرة النضال القومي الوطني الديمقراطي، خالداً في ذاكرة الطهارة والنقاء والعطاء، خالداً في ذاكرة الاهل والاصدقاء والرفاق والأحباب والأصحاب.

(دهاونك يا حزن .. واسحن بقايا الليل .. لا بان ريل وحمد ولا وصل قطار الليل).

جـوهـر بـلا ضجيـج

ياسر رجب

ما أجمله أن يعرفك القدر على شخص دون أن تكون لك أدنى معرفة مسبقة عنه، فتقترب من جوهره بعيدا عن هيمنة الألقاب والصور النمطية، فتكتشفه كما هو، لا كما تقدمه للناس مكانته أو تاريخه. هكذا بدأت علاقتي بالراحل الأستاذ محمد حسين نصر الله. كان ذلك في مطلع التسعينيات، حين تعرفت إليه من خلال مكتب التصميم والطباعة الذي كنت أديره في قرية توبلي، وقد توثقت العلاقة بيننا عبر ما كنت أنجزه له من أعمال التصميم والطباعة.

ومن خلال تلك العلاقة، عرفته إنسانا متواضعا، دمث الأخلاق، ناكرا لذاته في تواصله مع الآخرين، برغم اختلاف أعمارهم ومكانتهم وخلفياتهم. ولعل ما منح ذلك الانطباع الأول رسوخه أن ما عرفته عنه لاحقا من مكانة وتاريخ نضالي لم يغير صورته في ذهني، بل زادها وضوحا؛ فقد ظل التواضع وإنكار الذات السمة الأبرز في حضوره وتعاطيه مع الآخرين، بوصفهما تعبيرا صادقا عن إيمانه العميق بالإنسان، وعن اختياره أن يهب الكثير من ذاته في سبيل ما كان يحلم به للناس، وأن يحتفظ بالأمل مهما تعاظمت الصعوبات أو ارتفعت التضحيات.

والمفارقة أنه لم يكن مجرد أحد طرفي تلك الذكرى، بل كان سببا في اكتمال طرفها الآخر أيضا. فعندما علم بعزمي على السفر في رحلة سياحية إلى سوريا ولبنان أواخر عام 1993، طلب مني إيصال مسودة كتاب إلى أحد أصدقائه في دمشق. وهناك بدأ تعرفي إلى المناضل عبدالرحمن النعيمي (أبو أمل)، قبل أن أدرك لاحقا أنني كنت أمام أحد أبرز الرموز الوطنية في البحرين. وكما وجدت فيه تواضعا ونكرانا للذات يسبقان مكانته، وجدت في النعيمي ذلك اليقين الهادئ بفكره وبقناعاته، وذلك الثبات الذي لم تنل منه المحن، مهما اشتدت الصعوبات وتعاظمت التضحيات.

وربما لذلك بقيت تلك المصادفة عالقة في ذاكرتي؛ إذ قادتني، في زمن متقارب، إلى التعرف على رجلين جمعتهما مكانة كبيرة، وسبقتهما إليها إنسانيتهما.

مهدي مطر: الأستاذ المناضل يترجل

مهدي مطر

أستعيد شريط الذكريات عندما كنت طالباً في مدرسة جدحفص الابتدائية والإعدادية، عام 1970 وبعد وفاة مدير المدرسة المرحوم الأستاذ إبراهيم رجب تمّ تعيين الأستاذ محمود العلوي مديراً للمدرسة والأستاذ محمد حسين نصر الله نائبًا للمدير.

الأستاذ محمد كان يتميز بتقديم النصائح للطلبة وحثّهم على الدراسة وهي أي الدراسة الطريق للنجاح.

تسنى لي زيارة الأستاذ محمد بمعية الأخوة في ديسمبر 2019، سرد لنا الأستاذ ذكرياته منذ الاعتقال الأول عام 1969 عندما كان نائبًا للمدير بالمدرسة الغربية (مدرسة أبوبكر الصديق حالياً) واستمرت فترة الاعتقال ستة شهور، وتستمر بعدها فترات الاعتقال المتقطعة من عام 1973 حتى الإفراج الأخير عام 1984، وسبق لي أن كتبت تغطية لتلك الزيارة نُشرت في منصة « ديلمون بوست».

الأستاذ المناضل الوطني الكبير محمد حسين نصر الله التربوي السياسي، خريج جامعة بيرت الأمريكية، العضو المؤسس للمنبر التقدمي غادرنا بجسده وستبقى سيرته النضالية والإنسانية العطرة نبراسا للعمل الوطني والتربوي.

قالوا عن الأستاذ

محمد حسين نصر الله المعلم الإنسان

كل الذين عرفوا المربي الكبير الأستاذ محمد حسين نصر الله فإنهم يستذكرون له مواقف تربوية وإنسانية تركت بصمة في حياتهم. وعندما كنا طلبة بمدرسة جدحفص لا تبرح ذاكرتنا أفضال جمة للراحل الكبير . الكثيرون من طلابه ومحبيه واصدقائه بكوا فيه الإخلاص والتواضع، والطيبة فقد وهب كل لحظة من حياته للرسالة التي نذر نفسه لأجلها. كان رحمه الله صديقاً واخاً للجميع وقريبا منهم.

من المواقف التي لا تغيب عن الذاكرة أنه عندما كان نائبا لمدير مدرسة جدحفص في سبعينيات القرن الماضي كان باب غرفته مشرعاً طوال اليوم، وهذا أمر غير معتاد في المدارس، وهو ما ينمّ عن تواضعه وبساطته، وكأنها رسالة لأبنائه الطلبة: «إنني علي استعداد لحل كافة مشاكلكم». ولذا لم يكن مستغرباً أن يلجأ إليه الطلاب لحل ما يعترضهم .

لم اره يوما يوبخ طالباً أو ينهره مهما كانتالأسباب، بل رأينا نظرته الابوية الحانية في جميع الأوقات وهي سمة تفرد بها الراحل الكبير، ولعلّ من المواقف التي لا تبرح ذاكرتي إلى الأبد يوم قررنا فيه أنا وزملائي أبناء القرية عرض مشكلة كانت تؤرقنا عليه، المتمثلة في المواصلات من وإلى المدرسة والتي كادت أن تعيق إكمال دراستنا. وبذل رحمه الله جهداً خارقاً وأوفي بوعده وتمّ حل المعضلة .

طوال مسيرتي في حقل التربية والتعليم لم أصادف نماذج لهذا المربي الكبير إلا قلة . وهو بين قلة أيضاً من استطاعوا (أنسنة) التربية والتعليم، بينما فشلت الأغلبية في تطبيقها في الميدان التربوي.

استوطننا هذا المربي الكبير بطيبته وتواضعه وأسلوبه الفريد في معالجة القضايا التربوية.

من هم في مستوى هذا الرجل الكبير، عمقاً وعطاء، لا يرحلون. رحمه الله وجزاه خيراً نظير تضحياته الجمة .

محمد المحفوظ

فلرمزنا تحيّة

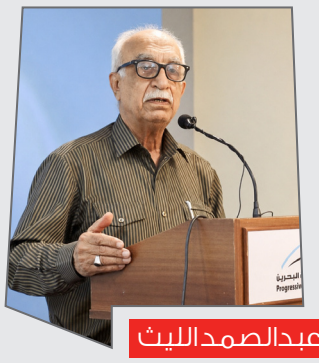
عبدالصمد الليث

تنعى (أوالُ) الواهبينَ مثالا
مَن قد أضاءَ سُرى الطَّريقِ نضالا
إذ غادرَ المهمومُ دائرةَ الأنا
و نحا بمصداقِ المَقيلِ فعالا
بالصَّبرِ قد جعلَ القيودَ مَفاتِحاً
فرؤى الثَّباتِ تُكَسِّرُ الأغلالا
و اصطفُّ حيثُ رأى الجموعَ بكدحِها
تكسو الحياةَ مِنَ المسيرِ جلالا
و(جتوبُ)صفُّ الكادحين ونهجُها
أرسى لتاريخِ الرَّفيقِ كمالا
فلرمزنا(محمد حسين) تحيةً
و لسوفَ يُلهمُ درسُهُ الأجيالا

سيرة مناضل صلب

يوسف مكي

كان الراحل محمد حسين نصر الله منارة وطنية شامخة ونادرة في سماء البحرين. لم يكن يملك أموالا ولا اطيانا لكنه كان يملك راس مال رمزيا لم يكن يملكه غيره وكان سخيا الى ابعد الحدود في توزيع هذا الرأسمال الرمزي، على شكل ادب وتربية وتعليم واخلاق وطيبة، وفكر ونضال من اجل العدالة والحرية والكرامة. وقد استفاد كثيرون من رأسماله الرمزي المتنوع.

منذ عودته من الدراسة الجامعية في بيروت في منتصف ستينات القرن العشرين أصبح الأستاذ محمد حسين نصر الله نجماً يشار اليه بالبنان. فهو منذ هذه اللحظة المعلم والمربي المؤهل تأهيلا عاليا، وهو منذ هذه اللحظة المناضل والبوصلة التي يهتدي بها المناضلون، وظل هكذا حتى فاضت روحه الشريفة.

لقاءاتي به قليلة، لكنني كنت أرى فيه نموذج الانسان الكامل والنبيل، وكنت معجبا بمناقبه واخلاقه وهدوئه العميق الذي ينم عن شخصية ممتلئة بالفكر والثقافة وروح التأمل والحكمة. سمعت باسمه لأول مرة في منتصف السبعينات وذلك من خلال الطلبة الذين كان يدرسهم في مدرسة الخميس، وكانوا يصفونه لي بأعجاب وأنه شيخهم وهم مريدوه، وقد اثبتت الأيام انه يستحق هذا اللقب عن جدارة .ثم التقيته لأول مرة في نهاية الثمانينات، فبادرته بالسلام وكأني اعرفه قبل ان اعرفه، وإذا به يرد علي السلام بأحسن منه وكأنه يعرفني منذ دهور. وهذا هو الأستاذ محمد حسين نصر الله يشعرك بالأمان وبأنه قريب منك وانت قريب منه. ثم تكررت لقاءاتنا فوجدت فيه شخصية ملمة بكل مجريات الأمور ولكنه أيضا يعالج الأمور المستعصية بهدوء وبحكمة، وكان لديه قدرة على طرح الحلول للقضية الواحدة وقدرة فك الاشتباك بين الأشخاص والقبول بحكمه العادل والمنصف (والخروج راضيا من عنده).

ليس من المبالغة ان أقول ان الأستاذ محمد حسين نصر الله كان مدرسة متنوعة في شخص واحد. ولكن ما يميز هذه المدرسة هو أنه يمثل شخصية المناضل الوطني العابر للطوائف والحالم بوطن تسوده العدالة والديمقراطية. ومن اجل ذلك نذر عمره وقدّم كل غال ونفيس ودفع أثماناً باهظة في السجون والمعتقلات من اجل هذه القيم والمبادئ. لكنه في كل الاحوال ظل قابضا على الجمر، برغم سنوات الجمر. وظل وفيا لقناعاته وسيرته ومسيرته العطرة. اجل هذا هو الأستاذ محمد حسين نصر الله باختصار شديد.

فى غزّة .. حين يصبح الفرح مقاومة

لقد حاولت الحروب عبر التاريخ أن تكسر الإنسان عبر تجفيف المعنى داخله، أن تجعله يعتاد الخوف، ويؤمن بأن الفرح خيانة للواقع، وأن الأمل نوع من السذاجة، لكن الشعوب الحية دائمًا ما تفاجئ العالم بقدرتها على اختراع الضوء حتى فى أكثر اللحظات عتمة، وهنا يظهر الفارق الكبير بين من يجعل الفرح دفاعًا عن الحياة، ومن يجعل الكراهية أسلوب حياة.!

المفارقة المؤلمة أن العالم الذى يتقن الحديث الطويل عن حقوق الإنسان، بدا أحيانا، بل فى كثير من الأحايين عاجزًا حتى عن حماية أبسط حقوق البشر فى الأمان والحياة الكريمة، ومع ذلك، يخرج أهل غزة من تحت الركام ليقدموا اكثر من درس أخلاقي وإنساني للعالم كله، وكلها تؤكد أن الإنسان يمكنه أن يكون مفجوعاً او مكسور القلب لكنه لا يزال قادرًا على صناعة الفرح، وقادر على ان يجعل الفرح فعل تحدٍ ومقاومة..!

خليل يوسف

وهنا تتجلى المفارقة الإنسانية و الأخلاقية العميقة والمذهلة، هناك من يقاوم كى يبقى إنسانًا، وهناك من يفقد إنسانيته وهو يظن نفسه ينتصر، والإنسان الذي ما زال قادرًا على الفرح هو إنسان لم يُهزم بعد، وحين شاهد العالم صور العرسان الفلسطينيين، لم يكن يرى مجرد احتفال زفاف، بل كان يرى شعبًا يعلن تمسكه بالحياة فى مواجهة مشروع يريد تحويل الحياة نفسها إلى مستحيل، فالفرح فى غزة لم يعد ترفًا اجتماعيًا، بل فعل مقاومة نفسية وثقافية وإنسانية.

زفاف جماعي لـ300 عريس وعروس من أبناء غزة وسط الخراب والدمار والركام، فالأمر هنا لا يتعلق بحفل زواج فقط، بل بفلسفة كاملة في مواجهة الموت، وحين يخرج مبتورو الأطراف في ماراثون بعنوان «الركض من أجل الحرية» فإن الرسالة أبعد من مجرد فعالية رمزية، إنها إعلان صريح بأن الجسد قد يُستنزف، لكن الإرادة لا تُبتر، وحين تتبنى مؤسسة إغاثية بعد ذلك زفافًا جماعيًا آخر ل 35 عريسًا وعروسًا، فإننا لا نكون أمام مناسبات اجتماعية عادية، بل مناسبات تؤكد اننا امام شعب يرفض أن يسمح للحرب بأن تصادر حقه في الفرح، وفي الحب، وفي الاستمرار، وهذه المشاهد المتتالية لا تحتاج إلى كثير من التحليل بقدر ما تحتاج إلى قليل من الضمير وكثير من التأمل .

مشاهد تقول ببساطة إن الإنسان، حتى وهو محاط بالدمار والدم، ما زال قادرًا على أن يحلم، وأن يبتسم، وأن يحب، وأن يعلن تمسكه بالحياة ، وتلك ربما واحدة من أكثر الحقائق إيلامًا للاحتلال والمتطرفين الذين يمارسون كل أشكال التوحش والاضطهاد والقتل والتدمير، وكلها لم تنجح في تحويل الضحية إلى نسخة أخرى من جلادها، وكل ذلك وبكلام بسيط، بل مبسط لا يحتاج إلى تفسير يعني إعلانًا صامتًا بأن الإنسان ما زال قادرًا على التمسك بالحياة رغم كل شيء، إنه انتصار للروح على القهر، ورسالة تقول إن الألم لم ينجح في قتل الأمل، وإن الذين عرفوا الوجع أكثر من غيرهم هم الأقدر أحيانًا على معرفة القيمة الحقيقية للفرح.

هذا يعنى اننا امام شعب يحاول أن يحيا رغم الموت، يقابله من يتفننون في صناعة الموت حتى في تفاصيلهم الخاصة، شعب يحمل رسائل حب للحياة رغم القصف والفقد والخراب، ومتطرفون يتغذّون على الكراهية والإقصاء والتحريض، ويجدون في الدم مادة للكراهية التى لا تستقر عند نقطة بعينها، ولا تتحكم حتى فى ذاتها، وفي مقدمة هؤلاء وزير الحرب إيتمار بن غفير الذى دأب على إنتاج خطابات وممارسات وانتهاكات تتسم بالتطرف والتوحش، وصل إلى حدّ تبنّيه قرار فى الكنيست يقضي بمشروعية إعدام الأسرى الفلسطينيين، وكأن العالم بات أمام محاولة لتشريع القسوة وتحويلها إلى سياسة معلنة.

هنا لا يعود الأمر مجرد صراع سياسي أو عسكري، بل مواجهة أخلاقية وإنسانية عميقة ، بين شعب يقاوم كي يبقى إنسانًا، ويحتفل بالحياة رغم كل شيء، وبين نوع من البشر يتغذّون على الكراهية، ويرون في الألم مادة للشعبوية والتصفيق ، ولهذا تبدو غزة اليوم أكثر من مدينة منكوبة، إنها مرآة كبرى تكشف الفارق الهائل بين من يجعل الفرح فعل مقاومة، ومن يجعل التوحش عقيدة راسخة، وجعل هذا الوحش موقفًا سياسيًا، والقسوة وسيلة للشهرة والشعبوية، والأسوأ أن القضية هنا ليست مجرد شخص، أو تصريح، أو تصرف عابر، بل ذهنية كاملة تتغذّى على شيطنة الآخر، وتحويل العنف إلى بطولة، والقسوة إلى خطاب انتخابي يحقق التصفيق والمكاسب .

وفي السياق ذاته، يمكن أن نستحضر ذلك التصرف المستفز الذى كشف إلى أي مدى يمكن أن يفقد الإنسان حسّه الإنساني وأُثير حوله جدل واسع حين قدمت زوجة بن غفير هدية له مرتبطة بأجواء الحرب والتحريض، وهي كعكة على شكل مشنقة للأسرى الفلسطينيين كُتب عليها «أحلام تتحقق»، مشهد صادم، لأنه عكس كيف يمكن لبعض العقول أن تتعامل مع المأساة بوصفها مناسبة للاحتفاء، لا لحظة تستدعي التوقف أمام معنى الإنسان والإنسانية والضمير، وهنا يتأكد للعالم أن أخطر ما تفعله الحروب ليس فقط القتل المباشر، بل قدرتها على إنتاج أجيال تتعامل مع الكراهية كأمر طبيعي، بل وكجزء من الهوية السياسية والثقافية.

وهنا تتجلّى المفارقة الإنسانية والأخلاقية العميقة، هناك من يقاوم كي يبقى إنسانًا، وهناك من يفقد إنسانيته وهو يظن نفسه ينتصر، فالإنسان الذي ما زال قادرًا على الفرح، رغم الجراح، هو إنسان لم يُهزم بعد، والفرح في غزة لم يعد ترفًا اجتماعيًا، بل أصبح فعل مقاومة نفسية وثقافية وإنسانية، ولذلك يبدو مشهد غزة أكثر عمقًا مما يظنه البعض، فهؤلاء الذين يفرحون ويرقصون وسط الدمار لا يهربون من الواقع، بل يواجهونه بطريقتهم الخاصة إنهم يقولون للعالم يمكنكم أن تدمّروا البيوت، وأن تُثقِلوا الأرض بالموت، لكنكم لن تهزموا إرادة الحياة، بمعنى أن الفرح الفلسطيني رسالة معاكسة تمامًا رسالة تقول إن الإنسان لا يُقاس فقط بقدرته على القتال، بل أيضًا بقدرته على الحب، وعلى حماية ما تبقى من روحه وسط هذا الخراب الهائل، والذين احتفلوا في غزة كانوا يقاومون بطريقتهم الخاصة، لا لأنهم لا يعرفون حجم المأساة، بل لأنهم يعرفونه جيدًا، ويرفضون رغم ذلك أن يسمحوا للموت بأن ينتصر على إنسانيتهم أمام من يملكون السلطة والسلاح والدعم، لكنهم فقدوا شيئًا أخطر بكثير، إنسانيتهم.

المؤسف حقا، إننا اصبحنا اليوم في زمن صار فيه القتل يُبرَّر، والكراهية تُسوَّق، والدم يُستثمر سياسيًا وإعلاميًا، وفى مناخات كهذه تبدو غزة — رغم كل جراحها — أكثر إنسانية من كثير ممن يتحدثون باسم الحضارة والديمقراطية وحقوق الإنسان، وهنا تكمن المأساة الكبرى لهذا العصر، أن شعبًا يخرج من تحت الأنقاض ليحتفل بالحياة، يبدو أكثر تحضرًا وإنسانية من عالم كامل وقف طويلًا يتفرج على كل الفظائع التى ضربت فى الصميم كل المعاني والقيم الإنسانية وتلك المتعلقة بحقوق الإنسان، وهنا تبرز مفارقة اخرى من المفارقات العديدة التى نشهدها اليوم، مفارقة تتمثل في الفارق الكبير بين الأقوال، والشعارات والأفعال، هنا تتعرى الكلمات من زينتها، ويتحول الفعل وحده إلى معيار الحقيقة، لأن الأوطان والإنسانية لا تُقاسان بما يقال فوق المنابر، بل بما يُمارس حين يصبح الصمت خيانة.

سوق النفط كما لم يكن من قبل

د. محمد الصياد*

سوق النفط هو أكبر سوق عالمي للسلع المتداولة. لذا فإن أحداثًا كبرى كحرب إيران، لها تأثير عظيم على أسعار النفط، وأسعار طيف واسع من المنتجات النفطية. فبعد أن كان سعر برميل خام القياس من نوع برنت في ٢٥ فبراير ٢٠٢٦، أي قبل اندلاع الحرب بثلاثة أيام فقط، حوالي ٧١ دولارًا، إذا به يقفز إلى ١٠١ دولارًا في ١٣ أبريل، والى ١٠٩ دولار في ١٦ مايو ٢٠٢٦.

فكان أن ألقى هذا الارتفاع بظلاله على سلة واسعة من السلع والخدمات في معظم بلدان العالم. فالنفط ليس سلعة عادية، إنه وقود أساسي للاقتصاد الصناعي، يُشغّل محركات النقل ويُعبّد الطرق، ومنه يُصنع البلاستيك الذي تُصنع منه وتُغلّف منتجات العالم. كما تُصنع منه الأسمدة التي تعزز الامدادات الغذائية التي تُصنع منه. ويكاد يكون مكوّناً رئيسياً في كل سلسلة توريد تقريبًا. وبعيدًا عن اتهامات لوبيات المناخ الأوروبية للنفط بالمسؤولية الأساسية عن ظاهرة الاحتباس الحراري، فإنه يصعب تخيّل الحياة المعاصرة بدون النفط ومشتقاته.

لذلك ما أن يتغير المعروض منه، يتغير سعره، بحسبان «قانون» الاقتصاد الأساسي: العرض والطلب. فعندما يقلّ المعروض من سلعة ما، يزداد تهافت المستهلكين على اقتنائها، فيرتفع سعرها. وتتميز السلع بمرونة متفاوتة للطلب عليها، فحين ترتفع أسعارها، تميل كتلة من المستهلكين لتقليل كمية استهلاكهم لها.

لكن عندما يُحجب مصدر رئيسي لحركة ونمو الاقتصاد العالمي بشكل فعلي ودون سابق إنذار، كما حدث عندما أغلقت إيران مضيق هرمز، فإن أسعار النفط يمكن أن ترتفع بشكل حاد في فترة وجيزة. ذلك لأن الأمر يتعلق بسلعة السلع، أي النفط. الأمر هنا يختلف. فالنفط يعتبر سلعة غير مرنة، أي أن مستهلكيها من الأفراد والشركات لا يغيرون حجم استهلاكهم لها بشكل كبير عندما يتغير سعرها. النفط الخام ومشتقاته مثل البنزين والديزل ووقود الطائرات، هي منتجات ضرورية لا غنى عنها لقطاعات النقل، والشحن، والصناعة، ولا توجد بدائل مناسبة لها تقريبًا. لذلك، حتى بعد انتهاء الحرب، فإن الراجح أن يكون لفقدان أكثر من 13٪ من إمدادات النفط العالمية، ونحو خُمس تدفقات الغاز الطبيعي المسال، لعدة أشهر، بالإضافة إلى تداعيات الحرب – آثار واضحة على تجارة النفط والغاز، ربما أبقت أسعار النفط مرتفعة لفترة قد تمتد لعام أو أكثر.

على الورق، كان من المفترض أن تُشكّل هذه الظروف بيئة مثالية لشركات الطاقة الكبرى مثل بي بي، وشيفرون، وإكسون موبيل، وشل، وتوتال إنيرجيز، لزيادة مخصصات انفاقها الاستثماري، وزيادة طاقاتها الانتاجية، لزيادة حصتها في السوق.

لكن هذا لم يحدث، فلم تُعلن أي من هذه الشركات عن خطط إنفاق جديدة لعام 2026 أو ما بعده. إنه الحذر على ما يبدو الذي تبديه مجالس إداراتها، في ضوء ما حصدته من خسائر على مدى العقد الماضي قُدرت بحوالي 200 مليار دولار، نتيجة لتوسعها المفرط منذ أوائل العقد الأول من الألفية الثانية. تحضر في هذا المقام، مقاومة شركتي شيفرون وإكسون موبيل لضغوط إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب لزيادة الإنتاج استجابةً لأزمة الشرق الأوسط. فقد انحاز أعضاء مجلسي إدارتهما لأولوية التركيز على الانضباط الاستثماري في إدارة أموال الشركتين.

الحرب واغلاق مضيق هرمز، ليسا السببين الوحيدين في ارتفاع وتأرجحات سعر برميل النفط حول مائة دولار.

فهناك ما يسمى التداول بناءً على معلومات داخلية (Insider trading)، أي شراء أو بيع أسهم شركة مدرجة في البورصة أو سلعة متداولة، من قبل متداولين يتمتعون بامتياز امتلاك معلومات جوهرية غير متاحة للعامة عن الشركة أو السلعة.

وهي ممارسة أطلق عليها جوزيف ستيجليتز في كتابه «السقوط الحر: الأسواق الحرة وغرق الاقتصاد العالمي»، "المعلومات غير المتماثلة حين يمتلك أحد طرفي الصفقة معلومات أكثر أو أفضل من الطرف الآخر)؛ واعتبرها من أسباب الفقاعة التي أدت الى الأزمة المالية العالمية في 2008. هذه الظاهرة تفاقمت إبان حرب إيران، رغم أن القانون الأمريكي يمنع جميع أنواع التداول بناءً على معلومات داخلية. حيث تداول الاعلام الأمريكي معلومات بشأن استغلال كواليس مفاوضات الحرب للمضاربة على أسهم شركات النفط للاثراء، ما تسبب في التذبذبات الحادة لسعر برميل النفط، صعودًا وهبوطًا.

هنا برز دور مخزونات الاحتياطيات الاستراتيجية التي تحتفظ بها الدول الكبرى المستهلكة للنفط، حيث لعبت دورًا بالغ الأهمية في منع سعر النفط من الخروج عن السيطرة، وبقي عند الحد الذي يبلغه عادةً إبان الأزمات (ما قبل الأزمة المالية في 2007، حين بلغت الفقاعات حدودها القصوى ومنها فقاعة النفط حيث بلغ سعر البرميل في 11 يوليو 2008، 147.50 دولارًا؛ وأزمة كورونا في 2020). بل إن هذه الاحتياطيات صارت تؤدي دور «المنتِج المرن» الذي يملك طاقة انتاجية احتياطية/فائضة للتدخل في الوقت المناسب لموازنة العرض والطلب وكبح جماح الأسعار. إنما، مع ملاحظة صغيرة لكن مهمة، وهي أن هذه المخزونات مآلها إلى النفاد ما لم يتم تعويض فاقدها. وهذه مشكلة يمكن أن تواجه بعض كبار مستوردي النفط على المدى المتوسط.

* خبير بحريني في
العلاقات الاقتصادية الدولية

جـرائــم والعــالــم يتفــرج

في وقت تحتكم فيه مصالح الدول الكبرى بأنانية بيّنة وهذا ما نراه أمام أعيننا اليوم .. كيف تنظر الإمبريالية الأمريكية لخدمة مصالحها لا يهمها مصالح الآخر بصرف النظر عما يجمعها من علاقات طيبة مع الدول التي ستضرر في قيامها بشن حرب، وخصوصاً إذا كانت الحرب بعيداً عن محيطها، حيث أول ما تفكر به الانقضاض على الثروات، وأهمها النفط التي تسعى جاهدة ولو بحرب تأكل الأخضر واليابس، وبالطبع فيما بعد ستكون كلفة ما أفسدته الحرب على نفقة الدول المتضررة نفسها.
قبل الحرب ترسم خطة تبرر فيها قيام الحرب، أي تدخل شعوب المنطقة في حرب طائفية مذهبية، تثير نعرات قومية نائمة وتبرر شخصية تزعم انه يريد حكم ما مستغلة بذلك وجود طوائف، حيث المنساقون عاطفياً كثيرون.

قاسم الحلال

وهكذا تجد الكثير من الدول أنها لا تمتلك حليفاً استراتيجي يحمي اقتصادها، يتشاور معها في سبيل مصالح مشتركة قائمة على المنافع المشتركة البناءة، وذلك في سبيل بنية اقتصادية قوية تعينها وتطور وترفع من مستواها لتكون في مصاف الدول المتقدمة تقنياً وصناعياً وزراعياً، وكثير من الدول التي لا تملك خططاً تنموية واضحة تجد نفسها في مهب الريح، مما يفسح المجال للدول المتربصة للابتزاز مستغلة نقاط الضعف والثغرات السلبية، هذه الدول لا تصنع ولا تفكر بخطوات سلمية أبداً، تستخدم القوة المفرطة المسلحة، حتى لو تعاهدت مجبرة على خطوات سلمية تبحث عن سلوك لوضع حجج تتقبلها بعض المجتمعات تحت يافطات مغرية.
السوفييت مثالاً، حيث سعت أمريكا مع حلفائها جاهدة بدعاية إعلامية مضللة لكي تتنصل من اتفاقيات نزع السلاح بعد الحرب العالمية الثانية، حيث دحر السوفييت النازية الألمانية الهتلرية، وعمدت على احتضان الحراك الوطني الدولي، من جانب آخر سعت أمريكا لتدمير دولة العمال والفلاحين، حيث قتل في الحرب ما يقارب خمسة وسبعين مليون إنسان في الحرب العالمية الثانية وحدها، إنهم يشنون حروباً يبيدون فيها البشر في الوقت الذي تبرز فيه دور الأمم لرفع راية السلام وإدانة الإبادة حيث قام مؤخراً رئيس وزراء إسبانيا بيدرو سانشيز بمنح وسام الاستحقاق للمقررة الأممية فرانشيسكا ألبانيز وتدفع قوى السلام ثمن وقوفها ضد الإبادة، أما موقف أمريكا ترامب فهو النقيض الذي يساوم من أجل الدولة التي قامت بإبادة فاشية ضد شعب فلسطين يبتز من خلالها الدول العربية والإسلامية، حيث يطلب منها صراحة .. (أما اتفاق شامل يشمل الجميع أما لاشيء)، وذلك مقابل الحرب، ووهي الصيغة التي رفضتها المملكة العربية السعودية ودولة قطر وباكستان.
من المفترض أن تكون أمريكا بعد أن حطت الحرب العالمية الثانية أوزارها راعية ومناشدة للحرية والسلام حسب ما تدعي، حيث كانت الشعوب تأمل أن تكون مناصرة لمواقف الاتحاد السوفييتي الذي دعم قوى الحرية والسلام، وذلك لكي لا يأتي هذا اليوم الذي تتفاجأ فيه الشعوب بنازية جديدة (الصهيونية) والأدهى أن تسندها دولة كبرى مثل أمريكا!
إن استخدام القوة المفرطة ينذر بخطر شنيع للبشرية يعيد المستقبل الذي أشارت إليه المؤتمرات المقامة من أجل السلام والحياة ضد الحرب النووية بقلق بالغ، حيث سعت الدول الامبريالية لحروب نووية وذلك للسيطرة على العالم لكنها لن تحصل على السيطرة لأن المستقبل يبشر بعكس ما تتمناه فهناك نذر تفكك أوروبي يلوح في العالم سيؤدي حتماً بنواياها الاجرامية، حيث التخبط والتراجع وانبلاج الحقائق لدى الكثير من القادة الأوروبيين واضح تماماً، رغم انها لاتزال تناور وتكابر وتدفن رأسها في الرمل في أحيانٍ كثيرة.
ماذا ينتظر القانون الدولي ليحين وقف الآلة الصهيونية بأي شكل من الأشكال .. لتتعاون كل المحافل الدولية ومؤسساتها الحقوقية لتخليص الأمم من جرائم الحرب والإبادة الجماعية، حيث أصبحت تتسيّد العالم وتسمح لنفسها ارتكاب قصف هنا وهناك دون رادع.
أخيراً نقول إننا ندرك تماماً إن ما تقوم به إسرائيل ليس عملاً منفرداً، كما أن ما يقوم به ترامب ليس عملاً منفرداً، بل إن من تدابير الإدارة الامريكية وفبركة الـC.I.A جهاز الاستخبارات الامريكية وكافة أجهزة الدولة العميقة في أمريكا..

مـا بين المتعلـــم والمثقـــف

في زخم الحياة العصرية، وتزاحم المعلومات، وتعدد مصادر المعرفة، تبرز الحاجة إلى التمييز بين مفهومين كثيرًا ما يختلطان في أذهان الناس: المتعلم والمثقف. فالسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح هو: هل كل متعلم مثقف؟ وهل يستلزم الإلمام بالعلوم والفنون أن يكون المرء مثقفاً بالضرورة؟ إنه سؤال جوهري يقودنا إلى استكشاف عميق للفارق بين مجرد حمل الشهادات واكتساب المعرفة، وبين امتلاك الرؤية والوعي والقدرة على التأمل والنقد، وهو فارق لا يكمن في الكم المعرفي فحسب، بل في الكيف والغاية والموقف من الحياة ذاتها. وقد أشار المفكر الفرنسي ميشيل فوكو إلى هذه الثنائية حين قال: «لا يكفي أن تكون متعلمًا لكي تكون مثقفًا، فالمثقف هو من يستطيع أن ينتقد سلطة المعرفة ذاتها»، مما يضعنا منذ البداية أمام جوهر المسألة.

جلال إبراهيم

إن المتعلم هو ذلك الشخص الذي تلقى قدرًا من المعرفة النظامية، سواء في المدارس أو الجامعات أو المعاهد، واكتسب مهارات معينة تمكنه من أداء وظيفة أو مهنة، فهو نتاج منظومة تعليمية تهدف إلى نقل المعرفة وتلقين المعلومات، ويمتلك أدوات قراءة وكتابة وحساب، وقد يكون عالمًا في مجاله، خبيرًا في تخصصه، لكن معرفته غالبًا ما تظل محصورة في إطار المناهج الدراسية أو متطلبات المهنة. والمتعلم بطبيعة تكوينه يمتلك شهادة أو مؤهلاً علميًا، ويجيد التعامل مع المعلومات في مجال تخصصه، ويتبع منهجيات محددة في التفكير والبحث، وغالبًا ما يكون نشاطه العقلي موجهًا نحو الإنتاج والتطبيق العملي، دون أن يضطر بالضرورة إلى تجاوز حدود ما تعلمه إلى آفاق أوسع.

أما المثقف، فيتجاوز حدود التعلم النظامي بكثير، فهو شخص يمتلك وعيًا نقديًا متقدمًا، وقدرة على الربط بين مختلف مجالات المعرفة، ويملك حسًا أخلاقيًا واجتماعيًا يجعله قادرًا على قراءة الواقع وتحليله وتقويمه. فالمثقف لا يكتفي بما تعلمه، بل يبحث بنهم عن المعرفة في شتى المصادر، ويطرح الأسئلة الوجودية والإنسانية، ويسعى إلى تغيير الواقع نحو الأفضل، ومن ثم فهو يمتلك رؤية شمولية للحياة والوجود، ويتمتع بقدرة على النقد والتحليل والتجريد، ويربط المعارف بعضها ببعض، ويوظفها في فهم الواقع، كما أنه ينشط في الحياة العامة، ويدافع عن قضايا المجتمع والإنسان.

وإذا أمعنا النظر في الفروق الجوهرية بين المفهومين، نجد أن المتعلم معرفته محدودة بتخصصه، بينما المثقف معرفته موسوعية متعددة الاتجاهات، كما أن المتعلم يتلقى المعرفة، بينما المثقف ينتجها ويعيد صياغتها وينقدها. وتختلف الغاية من المعرفة عند كل منهما، فالمتعلم يبحث عن المهارة والوظيفة، بينما المثقف يبحث عن الفهم والمعنى والتغيير، بل إن موقفهما من الواقع يختلف اختلافًا بينًا، إذ قد يكون المتعلم منعزلًا في برجه العاجي، بينما المثقف منغمس في قضايا مجتمعه، يسعى لتوعيته وإصلاحه.

غير أن هذه الفروق الواضحة لا تعني أن المتعلم والمثقف طرفان متناقضان، بل يمكن أن يلتقيا في شخصية واحدة، حين يكون المتعلم واعيًا ناقدًا، وحين يكون المثقف متقنًا لعلوم وفنون، فإن أرقى صور الإنسان هي تلك التي تجمع بين التعلم العميق والثقافة الواسعة، بين الإتقان المهني والوعي الإنساني.

وقد عبّر الشاعر أحمد شوقي عن هذا التكامل حين قال: «بالعلم والمال يبني الناس ملكهمُ ... لم يُبنَ ملكٌ على جهل وإقلالِ»، لكنه أضاف في موضع آخر يوضّح أن العِلم دون روح نقدية لا يكفي، فالبناء الحقيقي يحتاج إلى البصيرة التي هي لب الثقافة.

وفي ختام هذه المقارنة بين المتعلم والمثقف، نخلص إلى أن التعلم مجرد أداة، بينما الثقافة غاية ورؤية، فالمتعلم يبني نفسه، أما المثقف فيبني نفسه ومجتمعه، والمتعلم يحمل شهادة، والمثقف يحمل هموم إنسانية، والمتعلم يعرف الأشياء، والمثقف يعرف لماذا الأشياء كما هي، وكيف يمكن أن تكون أفضل.

إن الحضارات لا تُبنى بالشهادات وحدها، بل بالوعي النقدي، والقدرة على التجديد، والإرادة على التغيير، ولهذا يبقى المثقف ذلك الكائن الأثير، الذي يضيء دروب العقول، ويزرع بذور الحرية في تربة المعرفة. ويبقى السؤال الأخير الذي طرحه الفيلسوف سقراط على تلاميذه، وهو السؤال الذي يليق بكل قارئ اليوم: «أتحبون المعرفة أم تحبون الظفر بالجدل؟»، فمن منا يريد أن يكون مجرد متعلم يبحث عن التفوق اللفظي، ومن منا يستعد لأن يكون مثقفًا حرًا، واعيًا، مؤثرًا يبحث عن الحقيقة مهما كلفه ذلك؟

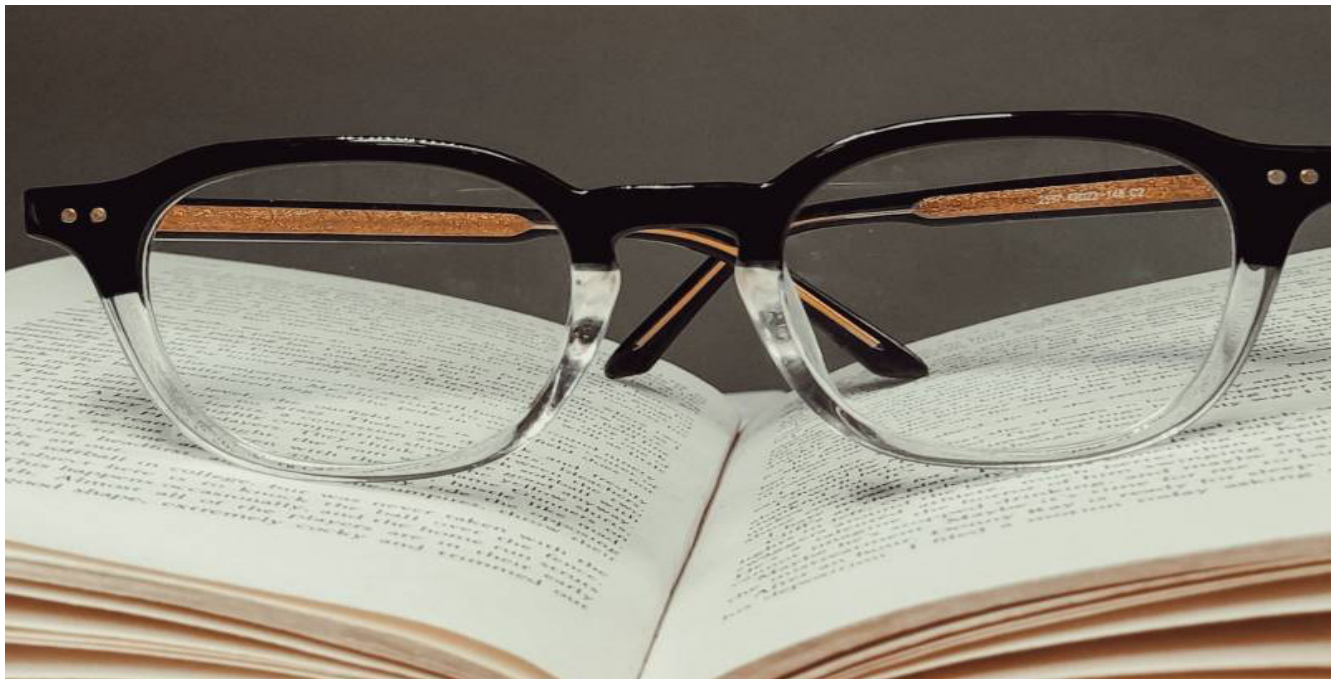

التنافُس على أصل الحياة

ربما يكون دارون Darwin قد وصف بشكل مُقنع أصل الأنواع، لكنهُ حَرَصَ على تجنُب الخوض في نظريات حول الحياة نفسها. في المُقابل، عارَض مُعاصِروه الجريؤون علناً نظرية التولد التلقائي، مُستلهمين ذلك من "وصفة الفئران"، من خلال تجارب شاملة على حِساء اللحم. ورغم أن مُثابَرة العالِم باستور Pasteur قد أثمرت، إلا أن أصل الحياة لا يزال غامضاً حتى يومنا هذا.
لهذا السبب، لا يقتصر الأمر على وجود القمل، وبق الفِراش، والبراغيث، والديدان الطُفيلية كضيوف وجيران لبؤسنا، وولادتها من أحشائنا وبُرازنا، بل أيضاً، إذا وُضِعَ قميص مُتسخ في فوهة وِعاء يحتوي على حبوب قمح، فإن الخميرة، التي امتصّها القماش وتحولت بفعل رائحة القمح، تحوّل القمح نفسه – المُغطى بِقشرة – إلى فئران في غضون أيام قليلة.

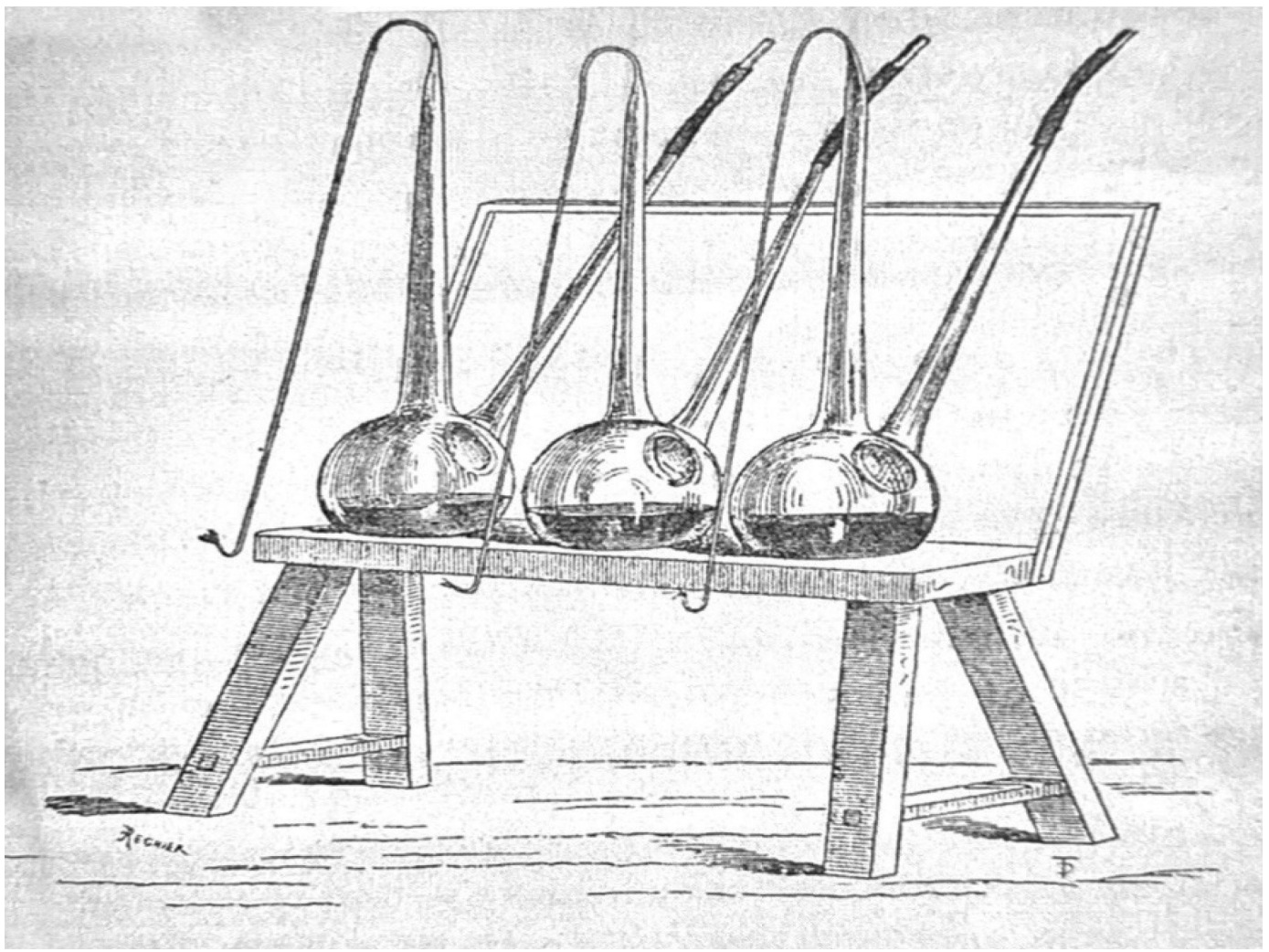

رسم لقوارير عنق البجعة التي استخدمها لويس باستور ١٨٢٢–١٨٩٥ محفوظة في أرشيف الإنترنت

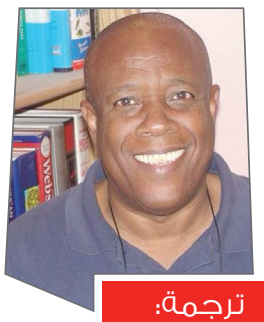

ترجمة:
غريب عوض

بقلم:
Fredrik Hook

أعلاه مُقتطف من كِتاب "فجر الطب"، وهو عمل كتبهُ في النصف الأول من القرن السابع عشر الكيميائي والطبيب Jan Baptist van Helmont جان بابتيست فان هيلمونت (1580–1644). في هذهِ "الوصفة للفئران"، طَرَحَ إحدى الحجج العديدة المؤيدة لنظرية الحيوية – وهي النظرية القائلة بأن الكائنات الحية يمكن أن تنشأ تلقائياً من مادة غير حية. أعتقد أنصار الحيوية أن الحياة مُنظمة بشكل هادف، وأنهُ لا يمكن فهمها بمجرد كونها نتيجة لعمليات ميكانيكية. بل إن الحياة محكومة بقوة حيوية فطرية مُعيّنة، تُسمى vis vitalis القوة الحيوية، والتي تُميّز الأحياء عن الأموات.
وبِحلول مُنتصف القرن التاسع عشر، كان من الثابت مُنذُ زمن طويل أن القمل والفئران لا يمكن أن ينشآ

تلقائياً؛ فلا بُدَّ لهما من أصل. لكن المجاهر microscopes فتحت عالماً غير مرئي سابقاً من الكائنات الحية الدقيقة، وفي دراسات السوائل المُغذية مثل مَرَق اللحم أو مُستخلص التبن، بدأ الأمرُ كما لو أن هذه الكائنات الحية يمكن أن تنشأ تلقائياً – حتى عندما تم تعقيم السوائل المُغذية من خلال التسخين الدقيق.

كان العالم والطبيب الفرنسي Felix–Archimede Pouchet فيليكس–أرشيميد بوشيه (1800–1872) من أبرز دُعاة نظرية الحيوية. في عام 1859، نشر كتابه "التغايّر» Heterogenie، الذي زعم فيه تقديم دليل تجريبي قاطع على إمكانية نشوء الكائنات الدقيقة تلقائياً في سوائل مُغذية مُعقمة.

واستند في استنتاجه إلى وجود قوة إلهية تُنظّم جميع الكائنات الحية، قوة تجذب المادة الجامدة وترتبُها، وتعمل باستمرار في مواجهة عمليات التحلل. إلا أن استنتاجات الكتاب تناقضت مع مدرسة فكرية مُتنامية أُخرى، أكدت أن جميع أشكال الحياة، بما فيها الكائنات المجهرية، لا بُدَّ لها من أصل، وأن هذا الأصل قد وصل إلى السوائل المُغذية المُعقمة في تجارب العالم الفرنسي بوشيه Pouchet عبر جزيئات محمولة جواً مع غُبار.

ولكي نحل مسألة التولد التلقائي، ونحسم النقاشات الحادة المُحيطة بها داخل الأوساط العلمية وخارجَها، نظّمت الأكاديمية الفرنسية للعلوم مُسابقة عام 1859، عَرَضت فيها ميدالية ذهبية بقيمة 2500 فرنك (ما يُعادل حوالي مائة ألف يورو اليوم) لعالم «يلقي، من خلال تجارب دقيقة، ضوءاً جديداً عَلى مسألة ما يُسمى بالتولد التلقائي».

وكان الهدف هو حسم مسألة أصل الحياة، واختيار الفائز من قِبل لجنة من عُلماء بارزين وذوي سُمعة طيبة مَن مجموعة من التخصصات ذات الصلة.

في ذلك العام نفسه، ودون أن يكترث على ما يبدو بالضجة التي أثيرت في فرنسا، نشر تشارلز دارون Charles Darwin عملهُ الرائد "أصل الأنواع» The Origin of Species، الذي تجنّب فيه عمداً الخوض في مسألة أصل الحياة. ووجّه اهتمامه بدلاً من ذلك نحو ما يربط جميع الكائنات الحية عبر تاريخ الحياة – التطور – الذي أشار إليه في مُقدمة الكتاب بـ "سر الأسرار". فبالنسبة لدارون، كان وجود الحياة نقطة انطلاق كافية، وكانت مسألة أصل الحياة خارج نِطاق ما ينبغي على العُلماء المُعاصرين التكهُن به. وكما قال في رسالة إلى صديق لهُ في الجمعية الملكية البريطانية بعد بضع سنوات من نشر تُحفَته: "إن التفكير في أصل الحياة في الوقت الراهن مُجرد هَراء؛ فمن الأجدر التفكير في أصل المادة».

كان الكيميائي والصيدلي الفرنسي لويس باستور Louis Pasteur (1822–1895) أحد العُلماء الذين خاضوا غمار هذا المجال، وقد أصبحت تجاربه أمثلة نموذجية في الكُتب العلمية حول كيفية إثبات الفرضيات العلمية من خلال تجارب مُخططة بعناية، وتكرارها، والتحقق منها. ففي إحدى تجاربه الحاسمة، تم تسخين مرق لحم غني بالعناصر الغذائية حتى التعقيم داخل قارورة ذات عُنق مُنحني ينتهي بفتحة ضيقة.

وتُعرَف هذه القارورة باسم قارورة عنق البجعة، وقد تم إغلاقها بإحكام بعد التعقيم، ثم فُتحت لاحقاً لتعريض مُحتوياتها للهواء المُحيط. باستثناء استخدام قوارير ذات عُنق البجعة، أجرى فيليكس بوشيه Felix Pouchet تجارب مُماثلة للغاية، وادّعى أنهُ وجد أن الكائنات الحية الدقيقة يمكن أن تنمو في سائل مُغذي مُعقم بغض النظر عن نوع الهواء الذي تتعرض لهُ: هواء شوارع باريس المُلوث، والهواء الذي تم جمعهُ خلال رحلة استكشافية مُكلفة إلى نهر مالاديتا الجليدي على ارتفاع 3300 متر – حيثُ كان الهواء يُعتبر نقياً بشكل إستثنائي وخالياً من الحياة المجهرية – وحتى الهواء الاصطناعي المُدعّم بالأُكسُجين، وهو عُنصر اعتبرهُ فيليكس بوشيه وزُملاؤه أحد الشروط الضرورية للتولد التلقائي وبتعريض المَرَق المُعقم للهواء الغني بالأكسُجين الذي زعم فيليكس بوشيه أنهُ ضروري لنشوء الحياة، فتح باستور فوهة قارورته الضيقة ذات العنق المعقوف، ورغم أن المَرَق أصبح الآن على اتصال بأُكسجين الهواء، إلا أن معظم العينات ظلت صافية تماماً وخالية من أي كائنات حية مجهرية. وكلما كان الهواء أنقى (إذا فُتحت القوارير على ارتفاعات عالية، على سبيل المثال)، قلّت عينات المرق التي تعكّرت بالكائنات الحية المجهرية. وعندما تم كسر عُنق القارورة بالقرب من قاعدتها، بحيث لامس الهواء السائل مُباشرةً دون المرور عبر العنق الطويل الرفيع، تعكر المَرَق بسرعة.

وحدث الشيء نفسه عندما رُجّت قارورة سليمة بحيثُ لامس سائلُها السطح الداخلي للعُنق. أشارت النتائج إلى أن الجُسيمات المجهرية المحمولة جواً هي حاملات الحياة. فقد ألتصقت بالسطح الداخلي لعنق القارورة بينما مر الهواء المُشبع بالأكسجين، وهو ما كان يصبو إليه باستور، والسبب الرئيس وراء التصميم الذكي للقارورة.

ومع ذلك، دافع فيليكس بوشيه عن استنتاجاته، مُدعياً أن عملية التسخين المُطولة التي أتبعها باستور Louis Pasteur قد أفسدت حيوية المَرَق. لكن عندما ردت لجنة الأكاديمية الفرنسية للعلوم على الانتقادات بطلب إعادة التجارب، لم يوافق فيليكس بوشيه Pouchet على ذلك، ما دفع اللجنة إلى تصديق دقة تجارب لويس باستور وإعلان انتصاره بالإجماع.

استمر الجدل لبعض الوقت، مدفوعاً جزئياً بوجود كائنات حية في تجارب باستور أحياناً. لم يُحسَم الجدل نهائياً إلا بعد سنوات عديدة، عندما أثبت باستور أن مُعدات فيليكس بوشيه قد تلوّثت بكائنات مجهرية أثناء التجارب، واكتشف العُلماء وجود (البوغ أو البذرة) (الكائنات المجهرية التي تُحدث التناسل)، في بعض السوائل المُغذية – وهي مرحلة كامنة مُقاومة في بعض الكائنات الدقيقة تسمح لها بالبقاء على قيد الحياة بعد الغليان – إن المعركة يمكن حسمها مرة وإلى الأبد.

حتى دارون Darwin نفسه علّق على مسألة أصل الحياة في ذلك الوقت، وهو أمرٌ نادرُ الحدوث. كتب في رسالة مؤرخة في عام 1871: "لكن لو (ويا لهُ من احتمال عظيم!) استطعنا في بركة صغيرة دافئة ... تَشَكّل مُركّب بروتيني كيميائياً، جاهزاً للخضوع لتغيّرات أكثر تأثيراً. حتى يومنا هذا لا تزال فرضية دارون Darwin حول بيئة بدائية غير حية نشأت فيها بذرة الحياة الأولى مؤثرة بين العديد من الباحثين الذين يُحاولون الإجابة على مسألة أصل الحياة على كوكب الأرض. ومع ذلك عندما يتحدثون الآن عن هذه "البركة"، فإنهم يشيرون إلى شيء يُقارب عمرهُ أربعَة مليارات سنة.

بالإضافة إلى ذلك، تم استبدال المُركّب البروتيني الذي تحدث عنهُ دارون في العديد من النماذج بجزئيات الحمض النووي الريبي RNA ذاتية التضاعف، والتي يُعتَقد أنها بدأت العملية الكيميائية التي لا تزال مُستمرة في جميع الكائنات الحية المعروفة. وعلى الرغم من كل التقدُم المُحرَز بإسم العلم، لم يجرِ أحد حتى الآن تجرُبة تنشأ فيها الحياة تلقائياً من مادة غير حية. ومع ذلك، في وقت ما، في زمان ما، وُجِدَت الحياة. ولا يزال السؤال حول كيفية حُدُوث ذلك مطروحاً.

«ولاد البطة السودة»: فلسفة الشك في عالم يكره الاختلاف

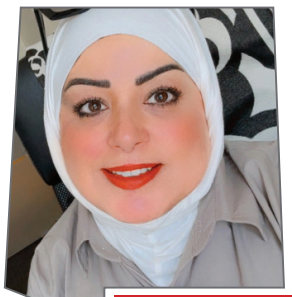

د. زهراء المنصور

في المسرح؛ لا تأتي الحكايات الكبرى دائماً بثياب الملوك والأبطال، بل قد تولد من الهامش: من الأزقة المنسية، ومن أصوات أولئك الذين تعلَّموا النجاة من فخ الحياة، أكثر مما تعلموا الحلم بها. ومن هنا تنطلق مسرحية (ولاد البطة السودة) بأفعال تلامس الواقع بجرأة، وتعيد طرح أسئلة الهوية والانتماء والحرمان، عبر شخصيات تبدو بسيطة ظاهرياً، لكنها تحمل في أعماقها تناقضات المجتمع وأوجاعه. فالعرض لا يكتفي بسرد الحكاية، بل يحوّلها إلى مواجهة إنسانية تكشف هشاشة الفرد أمام القسوة الاجتماعية، وتفتح المجال أمام قراءة تتجاوز الحدث إلى ما وراءه من دلالات رمزية ونفسية.

ومنذ اللحظة الأولى؛ حين يظهر الجميع بوجوه مهرجين، ليقولوا بصوت واحد: «بخ.. سبرايز!»، يعلن العرض عن نفسه بفكرة «الإنسان المؤدي لدور الحياة»، وليس الذي يعيشها بالفعل، وأن العرض يعلن أن المجتمع كله داخل كرنفال قسري؛ الفرح فيه أداء، والحزن فيه أداء، وحتى الرفض نفسه صار تمثيلاً. وهذه ليست مجرد سخرية اجتماعية، بل تشريح مؤلم لفكرة «التمثيل القهري للذات» داخل الواقع المصري خصوصاً، والعربي بشكل عام.

علاقتي الشخصية بالمخرجة عبير علي، مخرجة العرض، ليست وليدة هذا العمل، بل هي علاقة ممتدة عبر سنوات من النقاشات الحادة المتعلقة بالدراما والأسئلة المؤجلة. لذلك كنت واعية تماماً أن كل ما طُرح في العرض ليس مجرد أفكار مكتوبة بعناية درامية، بل قناعات حقيقية تؤمن بها المخرجة شخصياً، وتدافع عنها حتى خارج خشبة المسرح. فكثيراً ما اختلفنا حول شخصيات درامية يصر الخط السردي على تقديمها بوصفها مثالية أو مظلومة، بينما تكون محمَّلة بقدر من التناقض، أو حتى التواطؤ. ربما تكمن هنا أهمية أن يكون صانع العمل مؤمناً بما يقدمه؛ لأن الصدق لا يصطنع فنياً، بل يتسرب تلقائياً إلى الجمهور، فيشعر أن ما يُقال على الخشبة ليس أداءً بقدر ما هو موقف حي نابض.

والمثير في (البطة السودة) أنه نتاج مسرح الحكي الذي تتبناه المخرجة في إطار مشروعها «المسحراتية»، والحكي ليس توصيفاً تقنياً بقدر ما هو إعلان جمالي وفكري عن تقاليد الحكي الشفاهي، بما يحمله ذلك من ذاكرة جماعية، وتداخل بين الشخصي والعام. أما «المسحراتية» فتؤكد الانتماء إلى عالم السامر الشعبي، حين يصبح المسرح امتداداً للمقهى والحارة والسيرة، لا مجرد خشبة مغلقة، وكأنَّ العرض يستدعي سلطة الحكاء الشعبي بوصفه شاهداً على القهر الاجتماعي.

لذلك كان النص في أسمائه الابتدائية الأولى: قابل للكسر/ البهاليل، وهذا يكشف عن تعدد زوايا النظر إلى الفئة التي يتعامل معها (أولاد البطة السودة). فالعنوان الأول يحيل إلى الهشاشة الإنسانية والاجتماعية، وإلى شخصيات مهددة نفسياً وطبقياً، بينما يشير «البهاليل» إلى دلالة مزدوجة؛ إذ يشير شعبياً إلى المهمَّشين، أو مَن يُنظر إليهم باعتبارهم خارج النسق الطبيعي للمجتمع، لكنه في الوقت نفسه قد يحمل بُعداً يتعلق بجعل «البهلول» كائناً يرى الحقيقة خارج منطق السلطة الاجتماعية.

ثم يأتي العنوان الأكثر قسوة ووقعاً: (ولاد البطة السودة) –كما تُنطق بالعامية المصرية– وهو تعبير شعبي شديد الحمولة الطبقية والعنصرية، يستخدم للإشارة إلى الأبناء الأقل حظاً، أو المختلفين، أو المنبوذين داخل البنية العائلية والاجتماعية نفسها. وهنا يتحوّل العنوان من توصيف شعبي، إلى إدانة ثقافية لبنية الإقصاء والتهميش، من خلال الشخصيات المختارة.

والجميل أن النص غير مبني على شخصيات واقعية بالمعنى التقليدي، بل تبني لنماذج موجودة في كل المجتمعات. فهناك المثقف الصعلوك الذي يرى التناقضات، لكنه عاجز عن التغيير، فيتحوّل وعيه إلى تهكُّم وعبث. أما الشخصية «غير المنتمية»، فهي المبهورة بالغرب، عبر حشر كلمات أجنبية قسراً في جُمَلها، فتبدو لغتها هجينة، تائهة، وفاقدة لهوية أصيلة. وتعد شخصية «سورس الفصام» Schizophrenia Source من أذكى الشخصيات في النص؛ لأنها تجسّد المجتمع المتناقض: تؤمن بالعلم والخرافة معاً، تدافع عن المرأة ثم تُدينها، تتعاطف مع الفقراء وتمارس الطبقية عليهم في الوقت ذاته. أما الموظف المتوسط، فهو صورة الإنسان الذي اختار النجاة بالصمت، حتى اكتشف أن "المشي جنب الحيط" لا يحمي أحداً من الخراب الداخلي.

اعتمد العرض كثيراً على تقنية «التكنيك عبر الضحك». فالتجاوب الذي يحصل بين الجمهور، وما يحصل على الخشبة، ملفت بالفعل، لكنه يكشف عن فاجعة! فسؤال مثل: «نانسي عجرم بتعمل بي بي زيِّنا؟» يبدو عبثياً، لكنه –في العمق– يسأل عن علاقتنا بالمشاهير، والطبقات، والصور المصنوعة، وعن ميل المجتمع إلى تحويل البشر إلى

أيقونات فوق إنسانية؛ بحيث يتم التفكُّر إن كانت الفنانة تقضي حاجتها الطبيعة كما باقي البشر العاديين!

كذلك كان مشهد «العصفورة والضفدع» من أقوى المقاطع التي تناقش –بشكل رمزي عميق– زواج المختلفين. الحكاية تبدو خرافية وبسيطة، لكنها –في الحقيقة– تكثيف لكل أشكال العنصرية: الطبقية/ اللونية/ الثقافية، وحتى الجندرية، لكنهم لخَّصوها هكذا: «العصفورة ما قدرتش تعيش في الميّه... والضفدع ماقدرش يطير»!

الضفدع هنا ليس «الآخر القبيح»، بل المختلف الذي يرفض المجتمع الاعتراف بحقه في الحب والحياة. والمفارقة الذكية أن الشخصيات التي تغني أغنية الشحرورة صباح: «أسمر أسمر طيب مالُه؟» هي نفسها التي تعجز عن تقبُّل الاختلاف الحقيقي. وهنا يفضح النص النفاق الاجتماعي وقبول الاختلاف كشعار، لكن رفضه كممارسة وفعل قائم. وفي رأيي أن اسم العرض (ولاد البطة السودة) شديد الذكاء؛ لأنه يستدعي –منذ البداية– فكرة المختلف والمنبوذ الذي لا يشبه السرب. فكل الشخصيات التي تظهر على الخشبة «بط أسود» بطريقتها الخاصة، حتى الذين يمارسون القمع؛ هم أنفسهم ضحايا منظومة أكبر منهم، وكأنَّ العرض يقول إن القسوة ليست دائماً صفة فردية، بل ميراث اجتماعي ينتقل بين البشر حتى يصبح الجميع شركاء فيه بدرجات متفاوتة.

لذلك، أكثر ما يميز أفعال (أبناء البطة السودة) في العرض، هو المزج بين الحكي الشعبي، والكباريه السياسي، والكلاون، والمايم، والانتقال السلس بين الكوميديا السوداء والألم الوجودي المستمر. كما ميَّز العرض أيضاً الاعتماد على الكولاج؛ حيث تتجاور الأغاني المألوفة لدى الجمهور بصوت وأداء تمثيليّيْن رائعيْن للممثل محمد علي حزين، وبمشاركة بقية الممثلين فيه. ومن المهم الإشارة إلى أن الاقتباسات الغنائية في النص ليست للزينة، بل تعمل كتعليق شعبي ساخر ومؤلم على مصائر الشخصيات. كذلك وُضع الفيديو المساند في خلفية الخشبة لتأكيد الحدث (رغم عدم الحاجة لذلك في بعض المشاهد؛ لأن الممثلين كانوا يرددون ما يُكتب في الشاشة)، بالإضافة إلى الحكايات الشخصية، لتكوين صورة مجتمع مفكك ولا يتفق على رأي في المجمل، أو يتوقع منه ذلك، مهما كان ظاهراً! كما تم أيضاً استخدام الكراتين باعتبارها رمزاً لإنسان معلب وجاهز، لكنه هش وقابل للكسر. أما السلالم التي استخدمت بشكل رئيسي في العرض لتعتليها الشخصيات، فلم تكن مجرد قطع ديكور تشغل بها الخشبة، بل كانت عبارة عن استعارة بصرية لعالم طبقي ونفسي قائم على العلوّ والعزلة والانفصال، وكلها عناصر تظافرت لإعلاء جودة العرض وقيمته في المتعة الحسية، والبصرية، والسمعية أيضاً.

وأجمل ما في (ولاد البطة السودة): أن الاقتباسات فيها ليست جملاً لامعة فقط، بل جمل تكشف انهيار الوعي الجمعي، وتناقض الإنسان المعاصر، مثل: «أنتم وكأنكم مهرجين.. مفيش حد فيكم حقيقي»، وهي جملة افتتاحية تلخص فلسفة العرض كاملاً؛ فالجميع يؤدي دوراً اجتماعياً أكثر مما يعيش ذاته الحقيقية. وعلى صلة قريبة بالجملة السابقة، نجِد: «ما تبقاش متأكد قوي كده»، وهي الجُملة المتكررة للمثقف الصعلوك، وتكاد تكون الشعار الفلسفي للعمل كله؛ حيث التشكيك في اليقينيات الاجتماعية والسياسية والدينية. ويأتي السؤال المتكرر في العرض: «هو في حاجة أكيدة؟»، ويبدو –في ظاهره– سؤالاً وجودي بسيطاً، لكنه يهدم كل البنى الثابتة التي يعيش الناس داخلها، ويعيد التشكيك فيها، وهو تساؤل يُقال كأنَّه محاولة للتخفيف أو التشبث بأي يقين صغير وسط الفوضى، لكنه في العمق يحمل فلسفة إنسانية كاملة عن علاقتنا بالمعنى، وعن الطريقة التي نحاول بها النجاة من هشاشة العالم. الإنسان –بطبيعته– لا يحتمل العيش مع الشك الكامل، لذلك يبحث عن «الحاجة الأكيدة» التي تمنحه توازناً نفسياً، حتى لو كان كل شيء من حوله يتغيّر أو ينهار، وقد تكون هذه الحاجة شخصاً، أو ذكرى، أو فكرة، أو حتى وهماً صغيراً نتمسك به كي لا نسقط في فراغ العبث.

قوة السؤال تأتي أيضاً من صياغته الشعبية والبسيطة، فهو لا يدَّعي الحكمة الفلسفية المباشرة، لكنه يلامس حاجة بشرية قديمة جداً؛ الرغبة في اليقين أو الأمان. فنحن في زمن تتآكل فيه الثوابت، وتتبدل فيه العلاقات ومواقع الأشخاص في قلوبنا. فالناس لا يتمسكون بالأشخاص لأنهم مثاليون، بل لأنهم يمثلون «الحاجة الأكيدة» وسط الفوضى، وبعضهم يبقى في بيئات عمل أو سكن مؤذية، فقط لأن المجهول أكثر رعباً من الواقع المألوف. حتى بعض الأفكار والقناعات التي ندافع عنها، لا تكون عن قناعة تامة، بقدر ما هو خوف دفين من فقدان أي يقين! لذا يبدو السؤال موجعاً؛ لأنه يكشف الهشاشة الإنسانية، أكثر مما يمنحنا الطمأنينة. المثير أيضاً أن (ولاد البطة) لا يقولون ما هي «الحاجة الأكيدة»، ويتركوها مفتوحة، وهنا تكمن عبقرية العبارة. فكل متلقٍّ يملأ هذا الفراغ بما ينقصه هو شخصياً؛ إذ قد يكون الحب، أو الوطن، أو الإيمان، أو حتى الأمل بأن يكون الغد أقل قسوة. لذا فهي مرآة نفسية للجمهور، تعلق في الذهن؛ لأنها لا تقدم إجابة، بل تضع يدها على سؤال إنساني مستمر: ما الشيء الحقيقي الذي يمكن أن نطمئن إليه في هذا العالم؟

يعتمد العرض الممتد إلى ساعتين متواصلتين، بدلاً من ملء ذهن المتلقي بإجابات جاهزة، على إثارة الأسئلة، دون أن يضطر لتقديم مقترح نهائي، أو الادعاء بامتلاك الحقيقة، بل يترك الجميع معلقين داخل سؤال مفتوح: «هو في حاجة أكيدة؟». ولعل هذا السؤال تحديداً هو قلب العرض الفلسفي. فالشك هنا ليس ضعفاً، بل محاولة أخيرة للنجاة من يقين اجتماعي خانق يأتي على شكل مسلَّمات يجب قبولها، ولو على مضض، وإلا بدا الإنسان ناقصاً أو شاذاً عن السياق. لذا لا يبدو عنوان (ولاد البطة السودة) مجرد استعارة عن المختلفين والمهمشين داخل المجتمع، بقدر ما يبدو سؤالاً عن إمكانية النجاة أصلاً: هل يُسمح للعصفورة أن تتزوج حبيبها الضفدع؟

حريم الـ «نولان»

د.بروين حبيب

كنت –ولا أزال – مهجوسة بصوت المرأة المغيّب، وكيف يُكتم هذا الصوت فيتبرع مثلا نزار قباني ليكتب لها شؤونها الصغيرة ويومياتها اللامبالية، لذلك كتبت كتابيَّ «شعر المرأة في ألف عام» و«ما لم يقله الرجال» في محاولة لتحرير تاء التأنيث من سطوة واو الجماعة. عاد إلي هذا الهاجس بعد مشاهدة فيلم كريستوفر نولان المبهر «الأوديسة» وقراءة ما تيسر من مقالات نقدية تناولت الفيلم، وقد استوقفتني فكرة ذكرتها إميلي ويلسون –مترجمة الأوديسة إلى الإنجليزية التي اعتمد نولان على ترجمتها في كتابة السيناريو– أوردتُها عرَضًا في مقال سابق بعنوان «حصان طروادة يخدعنا مجددا» لخصتُ فيها رأي إميلي في أن «شخصيات الفيلم غير مطوّرة بما فيه الكفاية، وخاصة الشخصيات النسائية التي تبدو بسيطة، فكاليبسو في الفيلم معالجة نفسية غير مدفوعة الأجر وبينيلوبي تُختزل في امرأة تنتظر زوجها».

وللإنصاف فإن في مقال مترجمة الأوديسة ملاحظات وجيهة وتحامل شديد في آن واحد. واتهام كريستوفر نولان بتحجيم الشخصيات النسائية في فيلمه، وذهاب بعض النقاد إلى أن هوميروس قبل ثلاثة آلاف عام «يبدو شبه نسوي إذا قورن بفيلم صنع في القرن الحادي والعشرين»، هذا الاتهام ينظُر بعين سخط نسوية إلى الفيلم، تعتقد أن أوديسة نولان منحت النساء حضورا بصريا وحرمتهم الفاعلية الدرامية. فتحولن إلى أكسسوارات تُبهرج حكاية العائد المأزوم. فهل همّش كريستوفر نولان في فيلمه دور النساء فعلا؟

قبل الإجابة على هذا السؤال نرجع إلى الأصل الهوميري، فالملحمة الأوديسية تحكي رحلة تيه دامت عشر سنوات كاملة لبطل عاد منتصرا من معركة طروادة بمكره وذكائه، ولكنه أغضب الآلهة فعرقلت عودته إلى دياره، فالأوديسة ليست قائمة على ثنائية كلاسيكية مثل روميو وجولييت أو قيس وليلى بل هي رواية البطل الواحد، وإن تقاطعت رحلة عودته مع نساء كثيرات كزوجته بينيلوبي التي انتظرته عشرين عاما، أو مروره عبر فضاءات تحكمها نساء بعضهن من الآلهة، كما حمته إلهة امرأة هي الأخرى. ولأن مركز ثقل الأوديسة رجل، هو متن الملحمة والنساء هامشها، حاولت عدة كاتبات وروائيات زحزحة المركز السردي إلى شريكات الرجل في الأوديسة، فظهرت منذ خمسينيات القرن الماضي كتابات نسوية عموما تسلط الضوء على بطلات الأوديسة، ثم تطورت هذه الكتابات إلى روايات نقلت المرأة من الظل إلى الضوء، فصدرت روايات مثل «الأوديسة كما ترويها النساء» لماريلو أوليفا تعيد فيها كتابة الملحمة من منظور نسائي معاصر يمنح الصوت لنسائها، ورواية «سيرسي» (Circe) لمادلين ميلر التي أخذت شخصية الساحرة التي تظهر في جزء محدود نسبيًا من الأوديسة، وأعطتها حياة كاملة، أو «البينيلوبية» (ThePenelopiad) لمارغريت أتوود التي منحت زوجة أوليسيوس حقها الكامل في رواية الأحداث، وأنصفت معها الجواري اللواتي اتُّهمن بإقامة علاقات مع الخُطّاب وقتلهن تليماخوس. وهذه الروايات جميعها لا تشتكي من قلة الحضور النسوي في الأوديسة فهن حاضرات وقويات، ولكن اعتراض كاتباتها أن نساء الأوديسة لم يكن لديهن الحق في رواية قصتهن بأنفسهن، فتناوب روايتها نيابة عنهن راوٍ عليم أو أوديسيوس نفسه في الملحمة الهوميريّة. فحاولن من خلال ما كتبن أن يعدن للنساء أصواتهن. وهي نفس الحجة التي استعملها الذين اتهموا كريستوفر نولان بتهميش المرأة في فيلمه، فلم يكن السؤال المركزي: هل في فيلم الأوديسة حضور نسوي؟ بل: هل أعطاهم الفيلم صوتا ووجهة نظر أم أعاد توظيفهن كمحطات في رحلة أوديسيوس؟

بينيلوبي: تحترف الحزن والانتظار

لا أجد أفضل وصف لبينيلوبي في فيلم الأوديسة من هذا المقطع من أغنية لفيروز «أرتقبُ الآتي ولا يأتي/ تبدّدتْ زنابق الوقتِ/ عشرون عامًا وأنا أحترف الحزن والانتظارْ»، يُحسب لكريستوفر نولان أنه منح بينيلوبي مساحة بصرية جيدة فابتدأ الفيلم بها وبابنها وهو يعانون من غيبة أوديسيوس الموجعة وحضور الخُطّاب الثقيل، وحسنا فعل حين عزلها عن مجتمع الرجال بحاجز خشبي مخرّم تراهم ولا يرونها، وتراقبهم من مكان عالٍ تحتفظ فيه بموقع السلطة داخله، فهي غائبة حاضرة ومحجوبة ظاهرة، وهي في الأوديسة الهوميرية من أكثر شخصيات الملحمة ذكاءً وتعقيدًا. تجسد الوفاء والصبر، لكنها تمتلك أيضًا دهاءً يوازي دهاء أوديسيوس نفسه. حافظت بذكاء على عرش إيثاكا عشرين سنة في غياب زوجها، وحمت ابنها المراهق، وقاومت مئة خاطب بحيلة الغزل الذي تنكثه كل ليلة، وحتى حينما يعود أوديسيوس لا تستسلم لعاطفتها، بل تُعمل عقلها وتعرّض زوجها لاختبار، فهي امرأة ذات بصيرة وحكمة واستقلال في التفكير، وشريكة فكرية لأوديسيوس يتجاوز دورها دور

زوجة سلبية تنتظر عودة الزوج من غيبته الطويلة. ورغم أن نولان منحها لحظات قوية مثل ثورتها على العالم الذكوري بخطاب يكشف إحباطها من عدم الاعتراف بما فعلته للحفاظ على المملكة، فإن الخطاب في الأوديسة النولانية يخبرنا أن بينيلوبي قوية، ولكن لا يرينا كيف، بل يحرمها نولان من موقف يدلنا أنها لم تكن أقل ذكاء وحيلة من أوديسيوس حين تختبره بسؤاله عن السرير الزوجي المصنوع من شجرة زيتون ثابتة ولا يعرف سره إلا اثنان هي وهو، لذلك لا يمكن زحزحته. وحتى لا نظلم نولان فهو لم يلغ بينيلوبي ولم يقلل من زمن ظهورها، ولكن أنزلها مرتبة عن أوديسيوس فلم تكن ندًّا لذكائه، بل زوجة وظيفتها الاشتياق لزوجها وانتظاره فكأنها جائزة ترضية له على عذابات سفره.

أثينا: الإلهة المعزولة عن عرشها

أثينا عند هوميروس هي إلهة الحكمة والعقل والتدبير، وليست شخصية مساعدة عابرة. تحضر في كل المحطات الصعبة من الرحلة فتساعد أوديسيوس وتليماخوس، تتنكر وتخطط وتنقذ، وتساعده في الوصول إلى إيثاكا، وفي مواجهته الأخيرة مع الخطاب، وفي إيقاف دائرة الثأر وإعادة السلام إلى إيثاكا. فهي شريكة أوديسيوس الخفية في رحلة العودة، وهي النقيض الإيجابي للآلهة التي تحركها الأهواء والرغبة في الانتقام، لكنها تتحول عند كريستوفر نولان إلى شبح لا يراه إلا أوديسيوس، أشبه بصوت الضمير لا تكاد تفعل شيئًا سوى أن تتبع العائد الضائع وتهز رأسها موافقة أو مستاءة، تبدّل دورها من امرأة/إلهة تغيّر مصير البطل إلى جزء من أزمته الداخلية، ذات حضور هامشي يمكن الاستغناء عنه دون أن يغيّر في الأحداث شيئا، فكانت كما وصفها أحد النقاد «أشبه بالمدرّسة التي تقول لتلميذها إنها ليست غاضبة منه، وإنما خاب أملها فيه». وشتان بين أثينا الهوميرية وأثينا النولانية!

كاليبسو: معالجَة نفسية قبل ثلاثة آلاف سنة

هذه الحورية الخالدة/ الإلهة النسوية قبل ظهور الحركات النسوية، التي احتجت على ازدواجية المعايير عند الآلهة، حيث يستطيع الإله الذكر أن يقيم علاقات مع النساء الفانيات، بينما تتدخل السلطة الإلهية ضدها وتمنعها من الارتباط بأوديسيوس الفاني وتلزمها بإطلاق سراحه بعد أن احتجزته سبع سنوات كاملة، جاعلة منه عبدا يلبّي شهواتها الجسدية، هذا الجانب الذي استبعده نولان تماما حتى مع الساحرة سيرسي، ولكن في النسخة النولانية من الأوديسة تغيب كل هذه الجوانب فلا نرى الشخصية الخطيبة البليغة القوية المستحوذة التي تعاند أوامر الآلهة الذكور فتعيق عودة أوديسيوس لسنوات، بل نجد امرأة هادئة أشبه بمعلمات اليوغا والتأمّل، تعالج أوديسيوس من صدمة ما بعد الحرب، وتساعده على ترميم ذاكرته، وتيسّر له مواصلة رحلته إلى زوجته بينيلوبي غريمتها. فسيناريو نولان يصنع من كاليبسو امرأة رائعة بصريا، ولكنها مسلوبة الخصائص الهوميرية «فليست غاضبة، ولا مضحكة، ولا ماهرة في البلاغة، ولا شهوانية» هي معالجة نفسية بلا أجر.

وهناك نساء أخريات هوميريات إمّا حجمت أدوارهن أو حذفت تماما، فأغلب من شاهد الفيلم أعجب بمشهد تحويل الساحرة سيرسي رفاق أوديسيوس إلى خنازير وهو مشهد ناجح بل مبهر تقنيا، ولكننا لا نعرف عن هذه الساحرة سوى رد الفعل الغاضب هذا على السلوك الوحشي لرجال أوديسيوس. ورغم أن الفيلم احتفظ لها بجانبها القوي والمخيف إلا أنه أفقدها تعقيدها وتحوّلَها من خطر يهدد الرجال إلى حليفة لأوديسيوس بعد أن مكث عندها سنة كاملة وكانت بينهما علاقات جسدية. وإذا كان دور سيرسي قد اختُزل في مشهد تحويل الرجال إلى خنازير، فقد حذف نولان من الملحمة الهوميرية مشهدا بالغ الوحشية حيث يشنق تيليماخوس في آخر الملحمة اثنتي عشرة امرأة مستعبدة لأنهن أقمن علاقات مع الخُطّاب، واستبدله بالتضحية بالخادمة ميلانثو التي دفعتها بينيلوبي إلى قلب المذبحة لتحكم عليها بالموت فعليا، فكأن نولان استعاض عن جريمة تليماخوس الاثنا عشرية في قتل الجواري بتلزيمها لأمه وإن كانت الضحية جارية واحدة.

كريستوفر نولان لم يطرد النساء من جنة فيلمه، بل أبقاهن لأنه بحاجة إليهم في معالجة الآثار النفسية لبطل عاد من معركة انتصر فيها لكن انهزمت روحه. فكان بحاجة إلى زوجة تنتظره وتغدو حافزا يحركه للعودة، وإلى معالجة نفسية تُصلح أعطاب ذاكرته، وإلى إلهة قويّة تحولت إلى شبح يؤنس وحدته. ولكن هل استشارهن نولان إن كنت يرغبن فعلا في تلك الأدوار التي أسندها إليهن؟ أم حوّلهن إلى حريم في أوديسته؟!

نخلــة بيتنـــا

نعيمة السماك

تحضرني الأغنية الجميلة التي يقول مطلعها: «يا القيظ مرحب تعب وياك ما نحلى/ صب العرق والبذر لابد ينخله/ يا القيظ في كل سنة أموت في نخله». وهي من كلمات الشاعر الراحل علي عبدالله خليفة، تلك الكلمات التي عبرت بصدق عن علاقة الإنسان بالنخلة، وهي لم تكن يوماً مجرد علاقة بمصدر للغذاء، وإنما علاقة بالأرض والهوية والذاكرة والانتماء.

كان يطلق على البحرين يوماً بلد المليون نخلة، لكنها، للأسف، لم تعد كذلك. فقد زحف العمران، وامتدت كتل الإسمنت، وسرقت كثيراً من مزارع النخيل التي كانت تنتشر في أرجاء البحرين، حتى أصبحنا نحاذر إلى البناء على حساب النخلة، وكأننا استبدلنا الظل بالحجارة، والخضرة بالخرسانة.

ويقول علي عبدالله خليفة أيضاً: «مزارع النخيل يا حبيبتي ينام تحت ظلها التعب/ ويرقص الفراش والذباب هانئًا ويسرق الرطب.“

ما أجمل هذا التصوير الذي يجعل من مزارع النخيل مكانًا للحياة والطمأنينة، حتى يجد فيه موضعًا ليستريح، وتشارك المخلوقات الصغيرة أفراح الموسم بخيرات الرطب.

نحن أبناء الخليج ارتبطنا بالنخلة ارتباطًا وثيقًا، فهي ليست مجرد شجرة، بل رمز لثقافتنا وتاريخنا العريق، وشاهد على حياة الآباء والأجداد. أما في البحرين، فقد اجتثت أعداد كبيرة من مزارع النخيل مع اتساع رقعة العمران، حتى غدت كثير من الأماكن التي كانت تعج بالنخيل مجرد ذكريات. ولو كان القرار بيدي، لم...

ومع انتقال الناس إلى البيوت الحديثة المشيدة بالإسمنت، ظل الحنين إلى النخلة يسكن القلوب ولا يغادرها. وعندما تزوجت وسكنت في بيت حديث، كان أول ما حرصنا عليه أن نزرع نخلة في حوش بيتنا.

غبار النجوم

في هنيهات أخاذة للتأمل.. ابتغى الموسيقار «جون كيدج» أن يُسلم حواسه المرهفة لبرهة من الصمت، صمت لا يشوبه من الوجود حوله أي صوت. ليحول الهواء معه لعدم لا يتردد فيه رفيف.
ركن كيدج إلى غرفة عديمة الصدى في حرم جامعة هارفارد –صُممت مُهيئة بلا صوت وشُيدت بمواد تمتص كل الذبذبات المنعكسة–.
وفي اللحظة التي مسّ فيها خرس العالم واستشعر بقلبه الصمت التام. طغت على أذنيه ذبذبة حادة وأخرى منخفضة فصاغتا سيمفونية أفسدت العدم حوله! انتظر كيدج زوالهما، وتدريجياً علت السيمفونية كأنها فوهة بركان خارق، حينها خرج مخذولاً لفشل التجربة.

بتول حميد

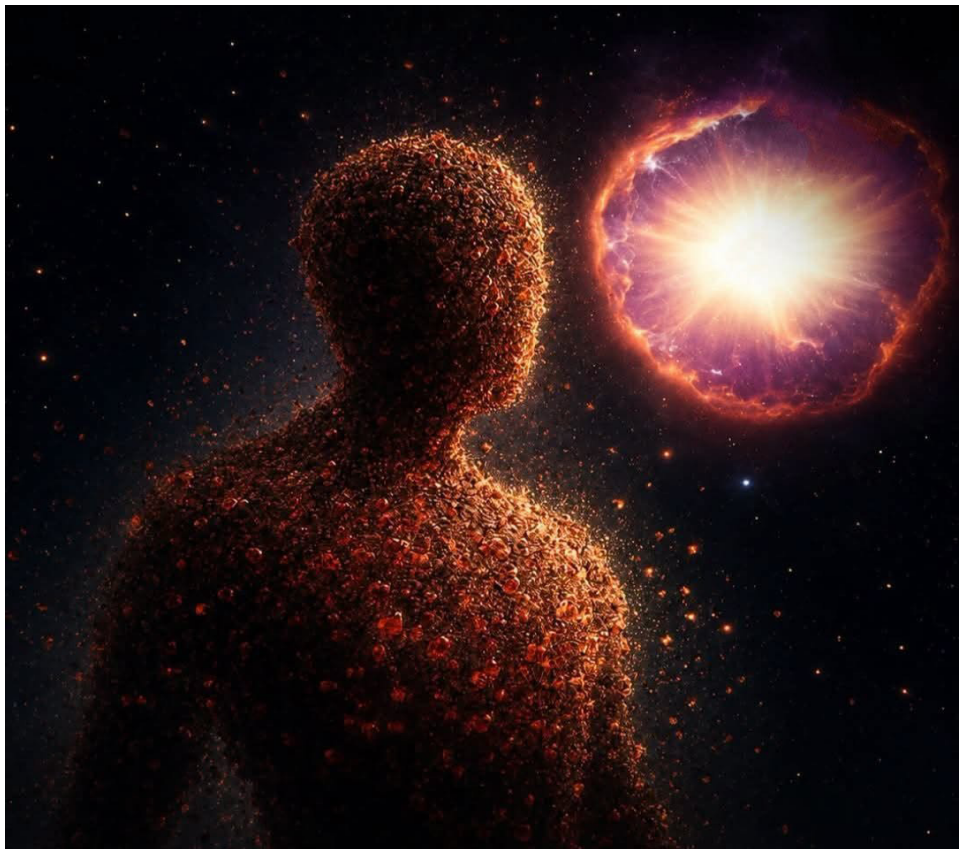

أبلغ مهندس التجربة بما حدث، وحين أخبره الرجل بأن النغمتين لن تزولا أبداً، فكلما زادت لهفته للصمت العميق، رنت حدّة الذبذبات، لأن النغمة الحادة ببساطة ما هي إلا صوت جهازه العصبي، والنغمة المنخفضة صوت الدماء في عروقه.

شعر كيدج بحزن مُهيب حين أيقن أن البشر لن يستطيعوا اختبار الصمت الخالص طيلة حياتهم، ولن يلمسوا بسمعهم بياض الصمت. لأن الحاجز الوحيد بينهم وبينه هو البشرية. وبأنه لكي يختبر الصمت، لا بد أن يفقد خفقان قلبه، ويوقف جهازه العصبي عن استشعار تجليات العالم من حوله.

في الرسالة الأخيرة التي كتبها الفنان فان جوخ إلى أخيه ثيو، عن أُمنيته أن يرسم الكون في أصدق صورة متاحة، أن يرسم الأشياء ببراءة تشكيلها الأول، كأنها صُنعت لأول مرّة من مادتها الخام. «أريد أن أعيد الأشياء إلى عفويتها كما لو أن العالم قد خرج تواً من بيضته الكونية الأولى.. أريد أن أسافر في النجوم وهذا البائس جسدي يعيقني»!

كان طموح فان جوخ يتمثل في رسم لوحة فريدة من غُبار النجوم ذاته، المادة التي صاغت الكون في صورته الأولى، لكن انتمائه البشري هو ما أحبط وصوله النجوم ونثر غبارها في لوحاته. لذا قرر جوخ أن يستبدل رسم الربيع بألوان زائفة، بالذهاب بجسده إلى الربيع والهلاك فيه بعد تلك الرسالة.

قد لا يستميت في إغوائنا شيء مثل بلوغ الكمال، لكنما بشريتنا هي من تقف بيننا وبين الإنصات للصمت ومصافحة النجمات.

سالفاً تخيّل الفلاسفة، أن الإنسان كائن عاقل يقف بحساسية عالية في مركز العالم. بينما –خارج النظريات الفلسفية– وفي قلب الحقيقة، يقف البشر على الحواف دائماً، عند منتهى الأشياء يتحركون مبتعدين عن المركز حتى يتمكنوا من الوصول إلى آخر ما يمكن أن تحتمله محدوديتهم.

لا يرسم البشر حدوداً للعالم، إنما حدودهم تُقيد رغمًا عنهم، حدودهم هي خيبة الوصول لمنتهى الأشياء. وهي اللحظة الفارقة التي يكون فيها ثمن خطوة واحدة للأمام هو الانسلاخ من الآدمية.

حين سألوا كيدج عن السر وراء رغبته الجامحة لبناء غرفة عديمة الصدى في هارفارد، أخبره المهندس أنها بُنيت خلال الحرب العالمية الثانية لدراسة الإنهاك الذي أصاب طياري القاذفات نتيجة وحدتهم لساعات مع ضوضاء المحركات الجنونية. إذْ تُعد الطائرة تحدي صناعي لمحدودية البشر، آلة تطل على العالم وتجنب أرجائه من علو شاهق وتتقمص صفة القاتل بضغطة زر.

لم تكن الغُرفة مُعدة لكي تطال طموح البشر في المنصات لجوايا للصمت، إنما للإياب مجدداً من السماء إلى بشرية طبيعية على الأرض، من قتل روح بكبسة واحدة، للتواصل بحنان وحميمية، بعدما نجح الطيار أخيرًا في الاستماع لدقات قلبه الجزعة من دور الهيمنة.

قبل أن يُسلم فانٍ جوخ حياته للفنان في الربيع، قدم أذنه قرباناً للحبّ، إذْ يحكي مؤرخون أنه قطع أذنه وقدمها عربون غرامه إلى غانية في حانة، بينما شدد آخرون أنه قطعها بعد مشادة كلامية مع صديقه المُقرب «بول جوجان» عندما خال أن صداقتهما وصلت لمحطة الوداع الأبدي.

يرسم السؤال استفهامه: هل كان جوخ سيفنى قلبه للربيع، لو تقبل محبٌ بعض نبضه؟

قد لا يعافينا وينير أرواحنا من محدوديتنا سوى الحبّ. إذ يقر هذا الشعور الآسر بمحدودية البشر عن الوصول للكمال؛ «كلٌ ينكسر لرقته، إلا الإنسان فينكسر لغلظه» يقوى بهشاشتهم حيناً ويضعف بطغيانهم. يرسم عوالم من خيال الصمت وغبار النجوم.

يومٌ عبوس

شعر:
عبدالحميد القائد

1

أُدخلُ يدي في جيبي
أُخرجُ وجهي
كانَ مُكفهرًا كَثيرًا هَذا اليوَم
لا يومَ يشبهُ يَوميَ الآخر

2

جَلستُ اليومَ أفكّكُ لُغزًا بَعثَرني
وضعتُ كَرامتي على يَدي
ليسَ بقصد أن أبيعَها
فأنا لستُ بائعًا ماهرًا
سَرقَ الأوغادُ قَميصي
هم أصحَابي في الظَاهِر

3

حَاولتُ أن أنامَ كي أنْسَى
لكنَّ الحزنَ تسربَ إلى نومي
صَبَغ أوداجي باليود
صَحوتُ وَجدتُ وجهيَ
مختفيًا في درج مكتبي
خَجلًا من ضيقَ اليَد
في الزَمن الغَادِر

4

لا أدرَي ما لَونُ الغَد
أُحاوِلُ أن أختارَ ألوَاني
أخبَروني أن لَوني مَحظورٌ في
الأسْواق
وأحتاجُ إلى تَصريح رسميٍّ
كي أحصلَ على غدٍ بَاهر

5

هَذا القَادمُ غامضٌ
غُموضَ السَراديب المعتَّقة
فلا بدَّ ان أسيرَ سيرًا وئيدًا
على هذه الطرقاتِ المَلغومةِ
بالحَتف
كي لا تَتَعثرَ قدماي وأسقطُ في
الجبِّ
فصَدريَ معولٌ يَشقُّ الدَهاليزَ
بحثًا عَن كَف طاهر

6

لا أدري ما يُخفي غَدي
وماذا سَتجني يَدي
في الطُرقات التي تضيعُ منّي
وأنا ألهثُ خَلفها دونَ مَوعدِ
سَأصلُ حَتمًا إلى مَقصَدي
رغمَ العمرِ الفائر
في هذا الزَمنِ المُخاتلِ الجَائر

لنا من الأسرار ما يكفي

شعر:
فاطمة محسن

القلبُ يزهرُ بالحنينْ

وأنا التي سكنتْ بقلبِكَ من سنينْ

هل نقهرُ البعدَ المكابرَ بينَنا؟ أم نستكينْ؟

خذْني إليكَ.. بعثرْ جنونَ الياسمينْ

واكتبْ حكايا النازحينَ من التعثرِ بالجنونِ.. إلى اليقينْ

فأنا وأنتَ حكايةٌ

معجونةٌ من سحرِ مجنونٍ لعينْ

خلطَ البنفسجَ بالأنينْ..

فأنا وأنتَ شرارتانِ تعربدانْ

ولَنا من الأسرارِ ما يكفي

لنُشعلَ ثورةَ الحلمِ القديمْ

ونُحررَ السحرَ الذي قد مسَّ كلَّ العاشقينْ..

فنموتُ شوقاً.. للبنفسجِ

أو نعيشُ قصيدتينْ!

لم يكن !

شعر:
علي الستراوي

تثاقلوا ..
لا الريح دافعة لهم
ولا هم في الحكايا لغة للبوح
تقدموا ..
فاختلفوا ايهما يصطاد حدسهم ..
بيني وبينهم شباك غليظ
ونهار كلما اقبل أفل دون وعي ..
دون ان يكون أولهم في الصمت ..
غرباء عن ذاكرة الأخلاء
لايتحدون في واقع الألم ..
ولا يختصمون في ساحات الوغى
المٌ يشغلهم في سقوط النبض ..

وفي صراع القلب يعتصر الوجع ..
يدنون مني ..
يطببون لغتي بملمس الشفاء
وبابيض الحكيمات يراقبون واقع الخوف
احسهم داخلي ..
يشعروني بالدفء..
قبل مصل يثقب شريان العافية ..
يمدها بالدواء ..
هم هنا ..
ام هناك ..!
يقتربون من قلبي ..
ويشعروني بالحياة .
فلم يكن ذلك ..
الا احبتي وانت !

علي عبدالله خليفة بين أنين الصواري وعطش النخيل

في شعر علي عبدالله خليفة تبدو البحرين ذاكرة حيّة، تسكنها رائحة البحر، وظلال النخيل، وأصوات البحارة، وحنين الإنسان إلى أرضه الأولى. ولهذا يصعب قراءة تجربته الشعرية بمعزل عن تلك الثنائية التي تشكل وجدان المكان الخليجي: البحر والنخلة؛ البحر بما يحمله من سفر وانتظار وفقد، والنخلة بما تمثله من رسوخ وانتماء وذاكرة.

بين أنين الصواري وعطش النخيل يتحرك صوت علي عبدالله خليفة، كأن الشاعر يقف على تخوم عالمين: عالم البحر المفتوح الذي يغري بالرحيل، وعالم اليابسة الذي يشد الإنسان إلى جذوره. فالصواري ليست أخشاباً ترتفع فوق السفن فحسب، وإنما علامات على حياة البحر القديمة، وعلى رجال كانت أرزاقهم وأحلامهم معلقة بما تأتي به الريح. أما النخيل، فهي ذاكرةً الأرض؛ تصمد في وجه القيظ والعطش، وتمنح المكان ظله وثمره، وتختزن في جذوعها حكايات أجيال.

ولعل قوة تجربة خليفة تكمن في أنه لم يتعامل مع التراث بوصفه صورةً فولكلورية جامدة، بل جعله مادة شعرية قابلة للتجدد. البحر عنده ليس ماضياً منقضياً، والنخلة ليست مجرد رمز شعبي؛ كلاهما يدخلان في صميم التجربة الإنسانية: الرحيل والانتظار، الفقد والأمل، الجوع والكرامة، والانتماء إلى مكان لا يكف عن التحول.

ولهذا تبدو قصيدته في كثير من الأحيان محاولة لاستعادة ما يتسرب من الذاكرة. فالحداثة التي اجتاحت الخليج لم تمحُ تماماً عالم البحر والنخيل، لكنها غيّرت ملامحه، وتركت وراءها أسئلة عن الإنسان الذي وجد نفسه فجأة أمام مدينة جديدة، واقتصاد جديد، وإيقاع حياة مختلف. ومن هنا يصبح الحنين عند خليفة أكثر من استعادة للماضي؛ إنه سؤال عن معنى الوطن حين يتغير المكان ولا يتغير الحنين إليه.

لقد كان علي عبدالله خليفة، في جانب أساسي من تجربته، شاعر المكان البحريني بامتياز؛ لكنه لم يحبس المكان داخل حدوده. فالبحر الذي يغني له هو بحر الخليج كله، والنخلة التي يستحضرها تحمل شيئاً من ذاكرة الصحراء العربية، والبحّار الذي يطل من قصائده يمكن أن يكون صورة للإنسان العربي الذي عاش طويلاً بين إغراء الرحيل وحاجة البقاء.

أنين الصواري وعطش النخيل صوتان متباعدان في الظاهر، لكنهما يلتقيان في أعماق شعر علي خليفة: صواري تبحث عن الريح، ونخيل تبحث عن الماء. وبين الريح والماء، بين السفر والجذور، يقيم شعره، ورحيله لا يعني غياب صوته؛ فما تركه من شعر سيظل، مثل النخلة، واقفاً في الذاكرة، ومثل الصاري، شاهداً على بحرٍ بعيد لا يكفّ عن النداء.

كتاب الطقس!

سوسن دهنيم

ليل المآذن جارح في الحرب
صوفيٌّ إلى نطْع يُساق
لأنه لم يدّخر جهدًا
ليعبر جنةً في روحه
تركوه مخضوبَ الضياء
وباشروا الشطرنج
قالت طفلة خلف الستارة:
كان محمولًا على ريح كقرص الصبح
يقرأ آية موزونة الإيقاع والمعنى
تماهتْ طفلة أخرى مع الصوفي:
لم نعثر على موت يدل عليه
كان موزعًا في الضوء والطرقات

في صوت الكمان بُعيْدَ نصف الليل
كان كغيمة مشدودة للماء فيها
يا سماءُ تسجّري
يا بحرُ لا تسرف كثيرا في العميق وأهله
لم يبقَ شيء في الطريق إليه
إلا صاحَ: يا هذا تعبنا من ضُحاكَ
ونحن من كنا على حلف مع الليل
المخاتل
كان يُدنينا إليه إذا ابتعدنا نجمةّ
هل كنت تُحصينا كعشب يابس في
الحقل؟
هل صرنا المصادفةَ الأخيرةَ

في كتاب الطقس؟
ماذا تستفيد إذا انتهينا في هزائمنا
ومِتنا فيك؟
هل تعلو قليلا يا سليل المُنتهى
في السدرة الأعلى؟
غريبا جئت ثم تعود محمولا على ماء
سليل الضوء
يا هذا؛ سلام من ضيائك
يوم أن كنت الحياةَ
ويوم تذهب للحياة
ويوم تبعث شاهرًا أسماءنا في الخلْق

«امتنان» ... حين يسبق اللحن الميلاد

هناك أعمال فنية لا يكتمل معناها لحظة ولادتها، بل تظل تنمو مع الزمن، حتى تجد قدرها الحقيقي في لحظة لم يكن يتوقعها مبدعوها. هكذا تبدو لي قصيدة «امتنان» ، للدكتور خليفة بن عربي، التي لحنها وغناها زوجي، الفنان والمؤلف الموسيقي محمد المرباطي، عندما كان طالبًا جامعيًا. يومها، كانت تجربة فنية وُلدت بين أستاذ وتلميذ، تحمل شغف البدايات الأولى، قبل أن تأخذ طريقها إلى المستمعين وتصبح متاحة عبر مختلف المنصات الموسيقية المعروفة. أما اليوم، فقد غدت هذه القصيدة بالنسبة لي رسالة حب تمتد من قلب أبٍ إلى ابنه الذي لم يولد بعد.

سوسن حسن

تستهل القصيدة بمطلع يختزل رؤيتها الفلسفية والإنسانية:

في كلِّ ذرَّةِ حبٍّ من خلايانا
قد أنبتَ اللهُ في الإنسانِ إنسانا.

إنها صورة شعرية كثيفة، تجعل الحب أصل التكوين الإنساني، لا مجرد شعور عابر. فالإنسان الحقيقي، في تصور الشاعر، لا يولد من الجسد وحده، بل ينبت من بذور المحبة التي أودعها الله في الخليقة. ويأتي فعل «أنبت» ليضفي على الإنسانية معنى النمو المستمر، وكأن الرحمة والأخلاق والإحساس بالآخر نبات يحتاج إلى رعاية دائمة حتى يزهر.
ثم يتسع أفق النص ليخرج من حدود الذات إلى رحابة الكون:

وقال للكون كن في قلب كوكبه
نجمًا يمد له الأرجاء شطآنا

ولا يكتفي الشاعر بالاحتفاء بالإنسان، بل يربط الأحلام بالعطاء الإلهي:

أحلامنا أودع الباري بها نعمًا
وأسكن الروح من نجواه ألحانا

وتواصل القصيدة دعوتها إلى الأمل، والنور، والارتقاء، حتى تبلغ خاتمتها التي تجعل الامتنان قيمة وجودية لا تنفصل عن الإيمان:

بالشكر نسمو امتنانًا من خوالجنا
لله، كي نحصد الطاقات ألوانا

لقد أحببت دائمًا فكرة أن بعض الأعمال لا تصل إلى أصحابها الحقيقيين إلا بعد سنوات.
فهذه القصيدة التي رافقت مرحلة من مراحل تكوين زوجي الفني، تعود اليوم بمعنى جديد تمامًا؛ لم تعد فقط عملًا موسيقيًا أو قصيدة مغناة، بل أصبحت ذكرى عائلية تُكتب قبل أن تبدأ حكاية طفلنا مع العالم. وكأن الزمن كان يحتفظ بها حتى تصل إلى اللحظة التي ستكتمل فيها رسالتها.
ومنذ أسابيع، أصبحت هذه القصيدة جزءًا من طقوسي اليومية. أضع يدي على بطني، وأدع اللحن يعبر إليّ، ثم إلى طفلي، وكأن الموسيقى تجد طريقها إلى قلبه قبل أن يتعرف إلى العالم. ولم يكن غريبًا أن أطلب من زوجي أن يهدي هذا العمل إلى مولودنا، ليكون أول إرث فني يحمله، وأول لغة يخاطب بها قلبه قبل أن تنطق شفتاه، مع إن زوجي يفضل أن يؤلف أغنية أخرى خاصة بمولودنا القادم.
وربما أجمل ما في هذه الرحلة أن «امتنان» لم تعد مجرد عمل فني يُستمع إليه، بل أصبحت تجربة تُعاش. فالكلمات التي كُتبت عن الحب والنور والشكر وجدت طريقها إلى حياتنا اليومية، وكأن القصيدة اختارت أن تصبح جزءًا من قصتنا الخاصة.
تنبض القصيدة منذ مطلعها بروح من التفاؤل والإيمان، وتنسج علاقة متينة بين الإنسان وخالقه، وبين الحب والوجود، وبين الحلم والشكر. لا تلجأ إلى التعقيد، بل تترك صورها الشعرية تنساب بهدوء، فتجعل الامتنان قيمةً تُعاش قبل أن يكون كلمةً تُقال. وربما لهذا جاءت موسيقاها منسجمة مع روحها؛ فكلاهما يسير بالمتلقي نحو شعور من السكينة والطمأنينة.
ولعل أكثر ما يلامس القلب فيها أنها لا تحتفي بالنعمة بوصفها غاية، بل تجعل الإنسان نفسه نعمة، وتجعل الأمل فعلًا يوميًا، والشكر أسلوبًا للنظر إلى الحياة. لذلك بدت كلماتها قادرة على تجاوز زمن كتابتها، لترافق كل من يجد فيها جزءًا من حكايته.
إن الشكر هنا ليس استجابةً بعد تحقق النعمة، بل حالة داخلية تُنتج النعمة نفسها. فالإنسان الممتن يرى في الحياة إمكانات لا يراها غيره، ويحصد من طاقاته ألوانًا من الخير والجمال والإبداع. ولذلك اختار الشاعر كلمة «ألوانًا»، لأن النعمة لا تأتي في صورة واحدة، بل تتجلى في صور لا حصر لها.
وربما لهذا السبب بالتحديد أصبحت هذه القصيدة الأقرب إلى قلبي في هذه المرحلة من حياتي. وأنا أترقب ولادة طفلنا، لا أجد كلمة أصدق من الامتنان لوصف ما أشعر به. امتنان لله على نعمة الحياة، وامتنان لأن الفن يستطيع أن يحفظ اللحظات التي تعجز الكلمات العادية عن احتوائها، وامتنان لأن طفلي يبدأ رحلته مع الدنيا وهو محاط بصوت أبيه، يحمل بين نغماته رسالة تدعوه إلى الحب، والأمل، والشكر.

ما يلامسني في هذا العمل أن الزمن أعاد تشكيل معناه. فما كان في الماضي تلحينًا لقصيدة كتبها أستاذٌ وأبدع فيها طالبٌ، أصبح اليوم ذاكرة عائلية تُنسج قبل الميلاد. لقد انتقلت القصيدة من فضاء الجامعة إلى فضاء البيت، ومن منبر الثقافة إلى حضن الأم، ومن تجربة فنية إلى إرث وجداني سيكبر معنا.
وفي موعدٍ أترقبه بكل الحب، من المقرر أن يأتي ميلاد طفلنا في شهر آب، في اليوم نفسه الذي أعلن فيه ميلادي أنا قبل سنوات. وكأن الحياة اختارت أن تهديني في هذا التاريخ ميلادًا آخر؛ ميلاد أمٍّ جديدة، وقلبٍ جديد، وروحٍ تُكتب لها بداية مختلفة.
ففي اليوم الذي سيحمل فيه طفلي أول أنفاسه، سأستقبل أنا أيضًا ولادة جديدة لنفسي؛ لن أكون فقط المرأة التي انتظرت طفلها، بل الأم التي ستبدأ معه فصلًا جديدًا من الحكاية. وكأن قدومه سيعيد تعريف معنى الميلاد لديّ، ليصبح يوم ميلاده امتدادًا ليومي، ونورًا جديدًا يُضاف إلى عامي.
ولعل هذا هو الانتصار الحقيقي للفن؛ أن يظل حيًّا، قادرًا على اكتساب معانٍ جديدة كلما عبر إلى قلب جديد. وها هي «امتنان» تواصل رحلتها، لا بوصفها قصيدة أو لحنًا فحسب، بل بوصفها وعدًا بأن تكون أول ما يهمس به الجمال في أذن طفل لم يولد بعد، وأول درس يتلقاه في أن الحياة تبدأ بالحب، وتسمو بالأمل، وتكتمل بالامتنان.

التقدمي

التقدمي العدد 223 ـ سبتمبر 2026 السنة 24 SDPA 499

رئيس التحرير: د.حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي. سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com